مجلة الجامعة الإسلاميَّة
للغة العربيَّة وآدابها

مجلة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكمة

العدد : 16
أبريل - يونيو 2025م

الجزء 1

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات المشارك بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر

أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب

د. الزبير آل الشيخ مبارك
(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد ـ تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم

د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	المقاصد النحوية عند الإمام الشاطبي (٧٩٠هـ) **د. وليد بن عبد الله الدوسري**	٩
٢)	من قواعد العامل الكلية في الصناعة النحوية دراسة تطبيقية في بعض مسائل الخلاف في الإنصاف للأنباري **د. نوال عبد العزيز محمد الفحام**	٦٥
٣)	العلاقات الاستبدالية للمعنى بين الدلالتين الصورية والمعجمية **د. علي بن جازي بن علي الدبيسي الجهني**	١٠٣
٤)	الانغماس اللغوي في التراث العربي دراسة تاريخية تأصيلية **د. عبد الرحمن بن زايد بن محمد الشعشاعي**	١٦٧
٥)	الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ من سطوة البخل إلى سلطة القول **د. بلقاسم محمد حمام**	٢٣١
٦)	القهوة بين الماضي والحاضر رحلة لغوية في عالم المشروب الأكثر شعبية **د. عبد الوهاب بن محمد الغامدي**	٢٩٩

م	البحث	الصفحة
٧)	بلاغة التشكيل الصوتي في سورة النازعات **د. منور بن نايف الفديد الشمري**	٣٦٣
٨)	علاقة التوافق في أسلوب المقابلة ولطائفها في الأوصاف القرآنية دراسة بلاغية تأصيلية **د. منى بنت فهد أحمد النصر**	٤٠٥
٩)	حجاج الجائحة في الخطاب الديني مقاربة تداولية في خطب الحرمين الشريفين **د. فوزي علي علي صوبلح**	٤٦٩
١٠)	جماليات المكان وعلاقاته في الخطاب الروائي رواية أوراق المورينجا أنموذجا **د. محمد بن مشخص المطيري**	٥٢٥
١١)	الرمز، دلالاته وحضوره في ديوان (طيور تحلق في المصيدة) مقاربة في ضوء رؤية أسلوبية **د. شيهانة بنت سعيد بن عبد الله الشهراني**	٥٧١
١٢)	تحليل الأخطاء الصوتية لدى غير الناطقين بالعربية مقاربة منهجية وفق نظرية كوردر **د. ماهر بن دخيل الله الصاعدي**	٦٦٥

الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ
من سطوة البخل إلى سلطة القول

Communicative Competence in al-Jāḥiẓ's book al-Bukhalā (the misers)
From the Power of Miserliness to the Authority of Speech

د. بلقاسم محمد حمام

أستاذ اللسانيات بقسم اللغة العربية بجامعة الملك فيصل بالأحساء، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: hhbelkacem@gmail.com

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
2025/02/16		2025/04/08
نشر البحث A Research Publication		
ذو الحجة ١٤٤٦هـ = June 2025		
DOI:10.36046/2356-000-016-005		

ملخص البحث:

تناول هذا البحث سطوة (البخل) على الكفاءة التواصلية التي توافرت عند بخلاء الجاحظ، وقد كان (البخل) بوصفه قناعة ذاتية لها آثارها النفسية والاجتماعية من خلال سطوته على نفسية البخيل وقبضه على مجاميعها، قد انعكس على حوارات الشخصيات في كتاب البخلاء، الذين حفزت عندهم فكرة البخل المؤهلات المختلفة المكوّنة للكفاءة التواصلية، ومن ثم حاولت هذه الشخصيات بكل قدراتها الذاتية الوصول إلى الكفاءة التواصلية، التي من خلالها تؤثر على المتلقي لإقناعه بقبول فكرة البخل وفلسفته، ولذلك كان الهدف الأساس للبحث هو بيان تجليات هذه السطوة، خاصة على المستوى التواصلي، وقد اعتمدت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي، إذ حاولت تقصي جوانب الموضوع (الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ)، بتتبع حوارات البخلاء الواردة في كتاب الجاحظ، محللا الظواهر، ومناقشا أبعادها وتأثيراتها، وكان من أهم ما توصل إليه البحث من نتائج هي أن (الكفاءة التواصلية) مفهوم متعدد الجوانب، وهي أوسع من (الكفاءة اللسانية)، وأن (البخل) شأنه شأن باقي أخلاق الفرد الأخرى، له أبعاد نفسية بالدرجة الأولى، وأنه أصبح في زمن الجاحظ مذهبا أيديولوجيا، له أنصاره، وله فلسفته، كما كان له تأثير كبير على نفسية بخلاء الجاحظ، وظهر ذلك على عدة مستويات، منها المستوى التواصلي، الذي أدت (سطوة البخل) فيه إلى تحفيز القدرات التواصلية عند بخلاء الجاحظ، وقد تكونت (الكفاءة التواصلية) عند بخلاء

الجاحظ من ثلاثة أنواع من الكفاءات الفرعية: الكفاءة الاجتماعية، والكفاءة الذهنية، والكفاءة اللسانية، وكان لكل كفاءة من الكفاءات الفرعية المذكورة مظاهر وآليات.

الكلمات المفتاحية: الكفاءة التواصلية، سطوة البخل، سلطة القول، الكفاءة اللسانية.

Abstract:

This research deals with the profound impact of (stinginess) on the communicative competence observed in Al-Jahiz's book *al-Bukhalā* (the misers). Stinginess as a personal conviction had its psychological and social effects through its impact on the miser's psyche was reflected in the dialogues of the characters in the book of misers. The idea of stinginess triggered the various qualifications that make up communicative competence, and the misers' characters tried with all their personal abilities to reach a communicative competence through which they influence the recipient to convince him to accept the idea of stinginess and its philosophy. Therefore, the main objective of the research was to demonstrate the manifestations of this impact, especially at the communicative level. In this paper, the researcher adopted an Analytical inductive approach and tried to investigate the aspects of the subject (communicative competence in Al-Jahiz's book *al-Bukhalā*, by tracing the dialogues of the misers, analyzing their features and discussing their dimensions and effects. One of the key findings of the study is that communicative competence is a multifaceted concept, broader in scope than linguistic competence. The research also concluded that miserliness, like other personal traits, has primarily psychological dimensions, and that in al-Jāḥiẓ's time, it had evolved into an ideological stance with its advocates and a distinct philosophy. This ideology had a significant impact on the psychology of al-Jāḥiẓ's book *al-Bukhalā*, which was evident on various levels—including the communicative level—where the domination of miserliness served to stimulate communicative abilities among the misers. The communicative competence of al-Jāḥiẓ's misers was found to consist of three sub-competences: social competence, cognitive competence, and linguistic competence, each of which manifested through specific forms and mechanisms.

Keywords: communicative competence, the dominance of stinginess, the authority of speech, linguistic competence.

المُقَـــدِّمَـــة:

يعدّ الجاحظ من العلماء الذين جمعوا بين بُعدين قلّما اجتمعا في عالم، هذان البعدان هما: العلم الوفير، والتجربة الفذة، إذ هو لم يكتف في كتبه بنقل العلم والمعرفة اللذين حصلا عنده، وإنما جعل من مخالطة شؤون الحياة، وقضايا الأفراد والجماعات سبيلا لإثراء شخصيته العلمية، بحيث جمع بين العلم والخبرة الحياتية، خاصة أن العلم الذي برع فيه هو (علم البيان)، الذي يدرس اللغة من حيث هي عنصر من عناصر الوجود الإنساني، وسبيل ذو اتجاهين؛ اتجاه ينقل المعرفة، واتجاه يُصدر المعرفة، فـ(اللغة) أو (البيان) وسيلة الإنسان لفهم العالم من جهة، ووسيلة لتقديم نفسه لهذا العالم من جهة أخرى.

ومما ساعد الجاحظ على الاهتداء إلى هذا الربط الموفق، الذي زاد نجاح مؤلفاته وأفكاره في تبوُّؤ مكانة عالية عند الدارسين قديما وحديثا، هو عقليته الفذّة، وعزيمته القوية، وصبره الجمّ، وإدراكه قيمة المجال الذي يكتب فيه.

ومما ساعده على ذلك أيضا طبيعة عصره الذي عاش فيه (١٥٩-٢٥٥هـ)، الممتد على قرنين: الثاني والثالث، وكذا طبيعة المكان الذي قضى فيه حياته، واكتسب منه علمه وخبراته، فقد تميز عصره بانفتاح المجتمع الإسلامي على تنوعات ثقافية، وحياتية، وفكرية، وأجناسية، أثرت فيه على جميع الصعد.

وقد كانت كتابات الجاحظ خير ما سجّل هذه التحولات، وتلك الإثراءات، من حيث الرقعة والحجم والتأثير، فمن خلال هذه الكتابات استطعنا معرفة كثير من خصائص المجتمع في ذلك الزمان والمكان.

ومما زاد كتاباته موضوعية أنه يتناول قضاياه بشكل موضوعي في غالبه، ففي كتاب البخلاء مثلا، لم تكن غايته -كما يقول إحسان النص- التعريض

بجماعة من خصومه، بدليل أنه أورد من نماذج البخلاء جماعة من أصحابه المعتزلة، كالأسواري، وأبي هذيل العلاف[١] .

وعُرف عن الجاحظ اهتمامه بالثنائيات الاجتماعية المتضادة كالسودان والبيضان، والجواري والغلمان، والحولان والعميان، والبرصان والعرجان[٢]، وكأنه يقرر أنّ أيّ ظاهرة لا يمكن إدراكها على الوجه الأكمل إلا بإدراك ضدها، وهو منهج قويم أثبت نجاعته، وفي كتاب البخلاء اتجاه من الجاحظ لإثبات كرم العرب وسخائهم من خلال التركيز على ظاهرة البخل في مجتمعه، والتي كان النصيب الأوفر منها من نصيب الأجانب، وهو في هذا الكتاب يبدي رفضه لهذه الصفة على أساس أنها غريبة عن طبيعة المجتمع وعاداته وقيمه الدينية، ويشجب وجود هذه الصفة في مجتمع يحكمه التاريخ والعلم والأخلاق، مما لا يترك لها مبررا للوجود، ويمكن أن نعدّ كتاب البخلاء وثيقة أنثروبولوجية لتلك الحقبة الزمنية، فيما يتعلق بصفة البخل، إذ استطاع أن يعطينا صورة متكاملة عن هذه الظاهرة في مستوياتها المختلفة: النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، واللغوية، وذلك ما جعلني أستهدف دراسة هذا الجانب الأخير، لكونه لم يحظ بما حظيت به الجوانب الأخرى من جهود الدارسين.

موضوع البحث وأهميته: أركز في بحثي هذا على تتبع مظاهر الكفاءة التواصلية عند (البخيل) من خلال عرض الجاحظ في كتابه (البخلاء)، وهو

(١) ينظر: النص إحسان، "إبداع الجاحظ في كتاب البخلاء". دمشق: *مجلة مجمع اللغة العربية*، مج٨٣، ع٤، (٢٠٠٨م): ٧٥٧.

(٢) ينظر: قادري محمد، "مخالفة الأنساق الثّقافيّة العربيّة في رسالة (فخر السّودان على البيضان) للجاحظ أنموذجاً"، *مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)*، مج ٣٧، ع٧، (٢٠٢٣م): ١٢٧٧.

موضوع يكتسي أهميته من زاوية ربط تأثير القضايا النفسية والاجتماعية على القدرات التواصلية للفرد، بحيث يتكيف تواصله مع محيطه الاجتماعي بحسب ما يتوافر له من عوامل مؤثرة، ويعدّ هذا الجانب من الجوانب الرئيسة في المباحث اللسانية الحديثة.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها: إن إعجاب الجاحظ ببلاغة البخلاء، وقوة حججهم، وعلو لغتهم، ينبئ عن كفاءة تواصلية عالية لدى هذه الفئة، ومن ثَمّ يحاول هذا البحث دراسة العلاقة الجدلية بين البخل والكفاءة التواصلية عند شخصيات كتاب البخلاء للجاحظ، وكيف يمكن لصفة تحمل البعد السلبي أن تتحول إلى محفز يعزز الكفاءة التواصلية؟ وهل يمكن اعتبار البخل، رغم سطوته النفسية والاجتماعية، عاملا داعما لتطوير استراتيجيات تواصلية فعالة لدى بخلاء الجاحظ لإقناع الآخرين بمشروعية فلسفتهم؟

أسباب اختيار الموضوع: كانت هناك عدة أسباب جعلتني أختار هذا الموضوع للبحث، منها سبب أساس، وأسباب داعمة، أما عن السبب الرئيس والمباشر فهو رأي بعض الباحثين الذين يرون أن الجاحظ لم يكن بخيلا وإنما كان معجبا بفصاحة البخلاء وبلاغتهم، ولذلك أثنى عليهم[(١)]، ومما زاد قناعتي بالموضوع أنني حين عدت إلى كتاب البخلاء قراءة وتفحصا لاحظت أن الجاحظ لم يعتمد في عرضه لحياة البخلاء على الوصف، وإنما اعتمد أكثر على نقل واقعهم وحواراتهم كما هي في حياتهم الاعتيادية، وكل ما نقله عنهم كان من واقعه المعيش (مواقف حية)، والحوارات هي خير ما يمثل هؤلاء البخلاء في قدرتهم اللغوية، وكفاءتهم التواصلية، خاصة إذا نقلت مع ما يحيط بها في

(١) من هؤلاء الباحثين عبد الفتاح كيليطو في بحثه: (صورة البخيل بطلًا).

المقامات التواصلية من عناصر السياق التداولية، كما هو الحال مع بخلاء الجاحظ، وقد تفنن الجاحظ في وصف المجال التداولي الذي تمت فيه تلك الحوارات بكل دقة وتفصيل.

ومن الأسباب أيضا ما لاحظته أثناء قراءتي لكتاب البخلاء من تفنن في القول، وطرق إخراجه، وتنوع صور التحليل والتعليل والقياس، بشكل يجعله جديرا بتسليط الضوء عليه.

أهداف البحث: يهدف البحث -انطلاقا من إشكاليته- إلى:

- بيان مدى سطوة صفة (البخل) على نفسية البخيل.
- توضيح تأثير هذه السطوة على القدرات التواصلية عند البخيل.
- تحديد الكفاءات الفرعية التي تكوَّن الكفاءة التواصلية.
- تحليل مظاهر هذه الكفاءات الفرعية وآلياتها.

حدود البحث: يختص هذا البحث بدراسة تأثير (سطوة البخل) على الجوانب التواصلية عند البخيل، من خلال أهم كتاب في موضوعه في الثقافة العربية، وهو كتاب البخلاء.

الدراسات السابقة: إن كتابات الجاحظ بفضل خصائصها المتعددة، ومزاياها المتفردة، وموضوعاتها الطريفة، فرضت نفسها على الباحثين، فتناولوها من جوانب شتى، وزوايا مختلفة، ومناهج متنوعة، ومن هذه الكتابات (كتاب البخلاء)، الذي امتاز بكونه كتابا اجتمعت فيه أبعاد عديدة، منها: فنية، ونفسية، واجتماعية، ولغوية، وعليه نجد دراسات كثيرة في كل جانب من هذه الجوانب، وطبعا من غير الممكن عرضها جميعا، وإنما سأنتخب منها ما كان أقرب موضوعا، وهدفا، ومنهجا، من دراستي هذه.

- منها دراسة محمد الجويلي، بعنوان: نحو دراسة في سوسيولوجية

البخل: الصراع الاجتماعي في عصر الجاحظ من خلال كتاب البخلاء (الدار العربية للكتاب، دمشق، ١٩٩٠م)، وقد تناول الباحث العوامل التاريخية التي أفرزت ظاهرة البخل، ودور المال في إذكاء الصراع الاجتماعي في العصر العباسي، كما تعرض لفلسفة البخيل الاجتماعية، وصراعه الأيديولوجي مع مجتمعه، واعتماده في هذا الصراع على عناصر كثيرة، منها الظاهرة الكلامية، وانقلاب الجهاز المفاهيمي، ولكن البحث لم يتعمق في هذه العناصر، ولم أجد عنده إشارة إلى فكرة بحثي.

- من هذه الدراسات دراسة زاهر بن مرهون الداودي، بعنوان: السخرية في كتاب البخلاء للجاحظ: دراسة تداولية معرفية (مجلة الأهواز لدراسات علم اللغة، مج٤، ع٣، ٢٠٠٤-١٤٤٥هـ، ص٣٢)، التي هدفت إلى دراسة العوامل التداولية بما فيها اللسانية، التي حققت السخرية في كتاب البخلاء بناء على الفكرة التي تؤسس لها نظرية الصدى، التي تبناها الباحث، وحاول البحث كشف طبيعة المتحاورين، وملامحهم النفسية، بتحديد طبيعة الحوار، وتوزيع الأدوار الكلامية، مع التركيز على المنبهات الإظهارية التي تحفز المتلقي على إكمال الحوار في نصوصه.
- ومنها دراسة لحمادي فطومة، بعنوان: الاستلزام التخاطبي ودورة في تحقيق مقصودية النص، قراءة تداولية لنصوص من كتاب البخلاء (مجلة السرديات، الجمعية المصرية للدراسات السردية، ع٢٤، ٢٠١٧م، ص٢١٤)، وقد ركزت على دور السياق في تحديد المعنى المستلزم في المدونة المختارة، وآليات الانتقال من المعنى الصريح إلى

المعنى المستلزم مقاميا.

- ومنها دراسة نعيم السيد ومحمد الشريدة، بعنوان: المعايير النصية في البنية اللغوية عند الجاحظ في البخلاء (مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، مج ٣٥، ع١٠، ٢٠٢١م، ص١٦٥٣)، وقد حرص البحث على تتبع المعايير النصية السبعة، التي أقرها اللسانيون في علم النص، في أسلوب الجاحظ وشخصياته في كتاب البخلاء، مع تقديم نماذج من حواراتهم.
- ومنها دراسة نواري سعودي أبو زيد، بعنوان: الخاصية الحجاجية للفعل الكلامي، مقاربة لسانية تداولية، في نماذج نصية من كتاب البخلاء للجاحظ، (مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، مج١٢، ع١، ٢٠٢١م، ص١٠٧)، حيث طبّق الباحث نظرية أفعال الكلام على مجموعة من نصوص الكتاب، معتمدا على المنهج التداولي، الذي ينطلق في التحليل من التراكيب اللغوية، لينتقل إلى آفاق السياق التداولي، الذي هو أشمل من المعطيات اللغوية، مركزا على البعد الحجاجي والبرهاني في حوارات البخلاء، مستنتجا أن اللغة أكبر من كونها وسيلة تواصل أو نقل الأخبار، إلى كونها تبني تمثلاتنا للعالم من حولنا.
- إضافة إلى بحوث متعددة في الجانب الحجاجي، كدراسة برهومة عيسى عودة، بعنوان: البيان الحجاجي في قصص بخلاء الجاحظ، دراسة في خطاب النادرة (مجلة فيلولوجي، سلسلة في الدراسات الأدبية واللغوية، كلية الألسن، جامعة عين شمس، ع٦٠، ٢٠١٣م، ص١٢)، التي ركزت على البنية الحجاجية في نوادر البخلاء، التي

تجلت في ثمانية عناصر: المثل، والسلطة، والاستعارة، والحجاج المغالط، والوصل السببي، والأفعال اللغوية، والروابط الحجاجية، وكذا دراسة سليمة محفوظي بعنوان: الحجاج بالمغالطة بخلاء الجاحظ نموذجا (مجلة مقامات للدراسة اللسانية والنقدية والأدبية، المركز الجامعي، آفلو، الجزائر، مج١٤، ع١٢، ٢٠٢٠م، ص١٤)، إذ ركزت على أنواع المغالطات: الالتباس في المعنى، المغالطة بالاستدلال، العنف اللفظي، المغالطة بالشخص، المغالطة بالأقوال، الاستفهام المغالطي، مغالطة ادماج الكل في الجزء، ومنها دراسة عصام بن خدا، بعنوان: الحجاج بالعواطف عند بخلاء الجاحظ (المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ليبيا، مج٢، ع١، ٢٠٢٣م، ص٢١٥)، مركزة على بيان إلى أي حدّ يساهم الحجاج العاطفي بوصفه أسلوبا من أساليب الاستدراج بالقول، في إقناع المتلقي والتأثير في أهوائه.

منهج البحث وخطته: اعتمدت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي، إذ حاولت تقصي جوانب الموضوع (الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ)، بتتبع حوارات البخلاء الواردة في كتاب الجاحظ، محللا الظواهر، ومناقشا أبعادها وتأثيراتها، وفق خطة أقمتها على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، على الشكل الآتي:

- **مقدمة** عامة في كتابات الجاحظ وأهم سماتها.
- **تمهيد:** خصصته لبيان أهم مفهوم قامت عليه دراستي وهو مصطلح (الكفاءة التواصلية).
- **المبحث الأول:** بعنوان البخل وتأثيراته على الفرد (سطوة البخل)،

تناولت فيه مفهوم البخل، وأنواعه، وتأثيره على نفسية البخيل، خاصة في الجوانب التواصلية.

- **المبحث الثاني**: بعنوان الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ (سلطة القول)، تحدثت فيه عن الكفاءة التواصلية، وأهم مكوناتها (الكفاءة المعرفية، والكفاءة الاجتماعية، والكفاءة اللسانية).
- **المبحث الثالث**: مظاهر (الكفاءة التواصلية) عند بخلاء الجاحظ.
- **خاتمة**: أجملت فيها أهم النتائج.

التمهيد:

في هذا التمهيد أحاول ضبط المصطلح الأساس للدراسة، لأن ذلك يساعد القارئ في تتبع التحليل والمناقشة لجزئيات الإشكالية، وهذا المصطلح هو (الكفاءة التواصلية).

يعود الفضل في التأسيس لمفهوم (الكفاءة التواصلية) للعالم ديل هايمز (Dell Hymes 1966) الذي لم يقتنع بما ذهب إليه اللساني تشومسكى (١٩٦٥م) من القول بأن الكفاءة القواعدية كافية لتوفير تواصل ناجح في كتابه (جوانب من نظرية النحو)، إذ يرى هايمز أن معرفة المتكلم بالقواعد النحوية لا تكفي للتواصل باللغة، بل إنه يحتاج مؤهلات أخرى غير لسانية، وعليه أصبح مفهوم (الكفاءة التواصلية) أعم وأشمل من (الكفاءة القواعدية) أو اللسانية، فهي عند هايمز[١] قدرة الشخص على استعمال اللغة في سياق تواصلي لأداء أغراض تواصلية معينة، ومن ثم فالمتكلم بحاجة –إضافة إلى معرفته التامة بقواعد اللغة– إلى مؤهلات ثقافية واجتماعية تعينه على استعمال معارفه اللغوية بالشكل الصحيح الذي يضمن نجاح التواصل.

وقد بذلت جهود كثيرة لضبط مفهوم (الكفاءة التواصلية) وتطويرها، فظهرت عندنا نماذج متعددة، كل واحد منها يحاول رتق الخلل الملاحظ في النموذج السابق، وكانت معظم النماذج تختلف في عدد الكفايات الفرعية التي تكوّن في مجموعها (الكفاية التواصلية)، ومن أمثلة هذه النماذج:

نموذج (Canale and Swain 1980)، الذي يجعلها تقوم على ثلاث

(1) Hymes, D. Foundations in Sociolinguistics:

An ethnographic approach. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1974. Pp. x+245. Published online by Cambridge

كفايات: القواعدية، والاجتماعية، والاستراتيجية، ثم أضاف إليه (Canale 1983) كفاية رابعة هي الكفاية التخاطبية.

ونموذج (Bachman 1990) الذي تقوم فيه الكفاية التواصلية على كفايتين فرعيتين، كل منهما تنقسم إلى كفايتين أخريين، على الشكل الآتي: الكفاية التداولية (وتتكون من الكفاية المهنية، والكفاية اللغوية الاجتماعية)، والكفاية التنظيمية (وتتكون من الكفاية اللغوية، والكفاية النصية أو الخطابية).

ونموذج (Bachman and Palmer 1996)، وتتكون فيه (الكفاية التواصلية) من ثلاث كفايات، هي: الكفاية اللغوية، والكفاية البراغماتية، والكفاية الاستراتيجية.

ونموذج (Littlewood 2004)، الذي يجعل (الكفاية التواصلية) تقوم على خمس كفايات، هي: الكفاية اللغوية، والكفاية الخطابية، والكفاية البراغماتية، والكفاية اللغوية الاجتماعية، والكفاية الاجتماعية الثقافية[١].

إضافة إلى نماذج متعددة لها علاقة بتعليم اللغة الثانية، كما هو الحال مع نموذج المعايير العالمية لتعلم اللغات الثانية للمجلس الأمريكي (ACTFL 1996)، ونموذج الإطار المرجعي الأوروبي (CEFR).

وتسمى (الكفاءة التواصلية) أيضا (الكفاءة التداولية) كما عند سيمون

(١) ينظر في ذلك: أبو عمشة خالد حسين، "الكفاية التواصلية بين تعددية النماذج وتناص الدلالة"، ضمن كتاب: القدرة التواصلية وتطبيقاتها في تدريس اللغة العربية للناطقين بها وبغيرها: قضايا وإشكالات، مجموعة من المؤلفين، تحرير محمد إسماعيلي علوي، (ط١، عمّان: دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٢م)، ١٧٣.

ديك[١]، ومفهوم الكفاءة يتركز حول القدرات الذاتية للفرد في مجال معيّن، وقد تناولت هذا المصطلح مجالات علمية كثيرة، وكل مجال أعطاه المفهوم الذي يتناسب معه، فالسيكولوجيون مثلا ومنهم (بياجيه) يرون أن الكفاءة تتضمن أربعة محاور أساسية، هي: النشاط الذهني، ونشاط الفرد، والربط بين العمليات المنجزة ونتائجها، والجدل الفكري بين المعارف السابقة والعمليات المنجزة، وكل هذه المحاور تؤدي إلى ما يسمى (التكيّف)، وهي في نظر علماء التربية مرادفة لمجموع السلوكات (شفوية، وكتابية، وغير كلامية، وحركية)، ويذهب فريق من علماء التربية إلى إضفاء البعد التجريدي عليها فيربطها بالجوانب الذهنية المتعلقة بالمهارات الذهنية، ومنهم من يوسع مفهومها ويجعلها خمسة أصناف: ذهني، ووجداني، وتأثيري، وعملي، واستكشافي[٢]، وهي في مجال الموارد البشرية عنصر يجمع ثلاثة أنواع من المعارف، معارف نظرية (معلومات)، ومعارف علمية (خبرات)، ومعارف مهارية (سلوكية)، يستغلها الفرد لإنجاز ما يناط به من مهام، على أحسن وجه[٣].

وهي عند اللسانيين من أمثال تشومسكي، معرفة ضمنية تتركب من مجموعة من القواعد المستقرة في ذهن مستعمل اللغة، متكلما كان أو

(١) المتوكل أحمد، "آفاق جديدة، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي". (ط١، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٣م)، ٨.

(٢) نهاري حورية، "الكفاءة: مقاربات متعددة لمفهوم رحال". *مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب*، ١/٧، (٢٠٢٣م): ٢٣٤.

(٣) ينظر: Peretti Jean Marie, Gestion Des Ressources Humaines, Vuibert. Paris – 2016, 21e éd, p60.

مستمعا[١].

هذا بالنسبة للكفاءة، أما بالنسبة لـ(الكفاءة التواصلية) فهي عند جورج مونان: قدرة المتكلم على إنتاج

وتأويل عدد لا محدود من العبارات والجمل، وإدراك الهفوات المرتكبة بعد إرسال الرسالة اللغوية[٢].

والمقصود بها القدرة على التفاعل الإيجابي في المقام التواصلي، من خلال استثمار كل عناصر الحدث التخاطبي، بجميع مستوياته اللسانية وغير اللسانية، ومن هنا تفترق في مفهومها عن الكفاءة اللسانية، التي هي "القدرة على إرسال المعلومة على نحو صحيح لغويا"[٣].

ومن ثم فمفهوم الكفاية التواصلية أوسع بكثير من مفهوم الكفاية اللسانية، بل إن هذه الأخيرة ما هي إلا مكون من مكونات الكفاءة التواصلية إلى جانب كفاءات أخر مثل الكفاءة المنطقية، والكفاءة المعرفية، والكفاءة الإدراكية، والكفاءة الاجتماعية، وقد سماها فان ديك بـ(الملكات)، التي تكوّن في مجموعها الكفاءة التواصلية، والذي يقترح أن يصاغ نموذج مستعمل اللغة الطبيعية على هيئة جهاز يتكون من قوالب خمسة، يعنى كل قالب بملكة من هذه الملكات، فيكون عندنا: القالب النحوي، والقالب المنطقي، والقالب المعرفي، والقالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي، وتعمل هذه القوالب بشكل

(١) ينظر: جونيز فيليب، "الكفاءات والسوسيوبنائية". ترجمة الحسين سحبان، (ط١، الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، ٢٠٠٢م)، ١٠.

(٢) ينظر: Mounin, Georges, Dictionnaire de la linguistique (4e édition) ; Puf Quadrige, Presses universitaires de. France, 1995, p75

(3) Lyons John, Semantics. Cambridge: Cambridge University Press, 1979, p591

تكاملي، رغم أن كل واحد منها مستقل قواعديا[١].

والمقصود بالملكة اللغوية كما يوضحها سيمون ديك التمكّن من إنتاج عدد لا محدود من تراكيب اللغة وفهمها، البسيطة منها والمعقدة، والملكة المنطقية هي تلك القواعد والاستدلالات التي تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والاحتمالي، والملكة المعرفية هي الرصيد المعرفي المنظم الذي يفيده المتكلم من عبارات اللغة، كما أنه يمكنه توظيفه على الوجه المطلوب في مقامات التواصلية المختلفة، والملكة الإدراكية تتعلق بإدراك المتكلم للمحيط من حوله، وأن يوظف هذا الإدراك في إنتاج القوالب اللغوية وفهمها، ويقصد بالملكة الاجتماعية ما يستطيع المتكلم من خلاله أن يجعل خطابه يتناسب مع السياق التواصلي في أبعاده الاجتماعية لتحقيق أهداف الخطاب[٢].

ويمكنني أن أختزل هذه الكفاءات المتعددة في ثلاث: الكفاءة الاجتماعية، والكفاءة الذهنية (عقلية، موسوعية، إيديولوجية، نفسية)، والكفاءة اللسانية، فالكفاءة الاجتماعية تتعلق بالمهارات الفردية في التعامل مع الآخر، والكفاءة الذهنية تتعلق بالصفات العقلية والنفسية لمنتج اللغة ومتلقيها. والكفاءة اللسانية هي المعرفة باللغة بعيدا عن التداول، وسأوضح كل واحدة بما يتناسب مع هدف البحث.

أولى الكفاءات هي الكفاءة الاجتماعية –التي تعد عنصرا من عناصر الكفاءة التواصلية– وتشمل الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي تحيط بالخطاب، بما في ذلك طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب، والخبرة الاجتماعية في إدارة

(١) ينظر: المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ٩.

(٢) ينظر: المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ٨ و٩.

العلاقات، وتوظيف لغة الخطاب في ذلك.

وتعرف (الكفاءة الاجتماعية) على أنها "مجموعة الأنماط السلوكية اللفظية وغير اللفظية التي يستجيب بها الفرد للآخرين في مواقف التفاعل الاجتماعي"(١)، وتعدّ إحدى السمات الشخصية، ومن أهم موضوعات علم النفس الاجتماعي، فهي تعنى بالعلاقات الاجتماعية للفرد، بحيث تجعلها قوية، وذات جودة مرتفعة، مما ينتج عنه تحقيق التواصل الاجتماعي، والانسجام المجتمعي، مما يمكّن الفرد من التأثير في الوسط الذي يعيش فيه، وتقوم هذه الكفاءة على مجموعة من المهارات، منها:

- مهارة توكيد الذات: وتتمثل في القدرة على التعبير عن الأفكار والرغبات، والمطالبة بالحقوق، ومواجهة ضغوط الآخرين.
- مهارة وجدانية: وتتمثل في إمكانية إنشاء العلاقات وتوثيقها مع المحيط الخارجي، لتحقيق القبول.
- مهارات اتصالية: وتتمثل في قدرة الإنسان على إيصال رسائله إلى المحيط الخارجي، سواء عن طريق اللغة، أو عن طريق غيرها من وسائل التواصل (الإشارات الاجتماعية).
- مهارات المرونة الاجتماعية: والمقصود بها تحكم الفرد في ردّات فعله وانفعالاته في المواقف الاجتماعية، خاصة التي يغلب عليها (التفاعل العالي)، حتى يحسن اختيار السلوك المناسب، في الوقت المناسب، في

(١) منسي محمود عبد الحليم وآخرون، "الكفاءة الاجتماعية: المفهوم-المكونات-النظريات المفسرة". *مجلة العلوم التربوية*، كلية التربية بالغردقة، جامعة جنوب الوادي، م٢، ع٣، (٢٠١٩م): ٣٧١.

الموقف المناسب[١].

وقيام (الكفاءة التواصلية) على التفاعل الإيجابي بين هذه الكفاءات الفرعية المتعددة ضرورة تعود في أساسها إلى طبيعة النشاط التواصلي ذاته، وما يمتاز به من خصائص، تجعل من هذا التفاعل ضرورة وجودية، وليست صفة تحسينية، فمن خصائص هذا النشاط:

- أنه موزع بين سيرورة إنتاج وسيرورة فهم.
- ارتباط هاتين السيرورتين بالتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد.
- أن عملية التواصل تخضع لمصير النجاح أو الفشل.
- أن مقاصد المتكلم لا تحملها اللغة فقط، بل تشارك في تبليغها عناصر من خارج اللغة.
- أن مقاصد المتكلم ليست من طبيعة واحدة، فمنها ما هو ظاهر على سطح اللغة، ومنها ما هو كامن في داخلها، يترك لاجتهاد المتلقي.
- أنه يسعى إلى إحداث تغيير في العالم الخارجي (ذهن المتلقي وسلوكه)[٢].

ويرجع الفضل في توسع مجال التواصل ليشمل كل هذه القدرات التي تكوّن الكفاءة التواصلية إلى النماذج التواصلية التي قدمتها مجموعة من الاختصاصات من مثل: لسانيات الكلام، والتداوليات، وتحليل الخطاب،

(١) علي عبد الرحيم صالح، وحسام محمد مشد، "الكفاءة الاجتماعية وعلاقتها بفاعلية الذات لدى طلبة الجامعة"، *المجلة العربية لعلم النفس*، جامعة القادسية، العراق، ع١، (٢٠١٧م): ٢٦.

(٢) ينظر: الملاخ أمحمد، "التواصل أسسه اللسانية ومقتضياته المعرفية". *مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر*، م١، ع٢، (٢٠١٧م):١٩٢.

ونظرية التلفظ، والعلوم المعرفية، ونظرية المحادثة، ونظرية أفعال الكلام.

والكفاءة التواصلية تختلف بدورها من شخص لآخر، بحسب نضج الكفاءات الفرعية عنده، فكلما قويت هذه الكفاءات اكتملت عنده الكفاءة التواصلية، وفي المقابل كلما تراجعت كفاءة ما أثر ذلك على الكفاءة الأم، وظهرت آثارها في عملية التواصل، مع الإشارة هنا إلى أنني أقصد المتكلم بالدرجة الأولى، ولكن ذلك لا يعني استبعاد المتلقي من هذه النتيجة، لأن المتلقي أيضا –باعتباره العنصر الثاني الأساس في العملية التواصلية– مطالب بتوفير هذه الكفاءة بكل مكوناتها.

وثاني الكفاءات هي الكفاءة الذهنية: وهي كفاءة تتعلق بكل المؤهلات المتوارية عند الفرد من مواصفات عقلية، وسمات معرفية، وخصائص نفسية، وعليه فهي تغطي الجوانب العقلية، والجوانب النفسية عند الإنسان، فالفرد المنخرط في العملية التواصلية، لا بدّ أن يمتلك مؤهلات عقلية (منطقية) تمكّنه من إجراء العمليات العقلية التي يقتضيها الفعل التواصلي، كالقياس والتحليل، والاستنتاج، والتعليل، والتدليل، ولا بدّ أن يمتلك أيضا مؤهلات معرفية تتعلق بكل ما يرد في السياق التخاطبي من أفكار وأحداث وشخصيات ومفاهيم، ومن الضروري أن تكون هذه المعارف كافية من حيث الكم، محيطة من حيث الاتساع، ومتنوعة من حيث النوع، ودقيقة من حيث القيمة، ويضاف إلى ذلك المؤهلات النفسية، التي تمثل الصفات الذاتية للفرد المنخرط في عملية التواصل، فكلما كان سمحا وهادئ الطبع، وليّن الجانب، كان تواصله مع الآخرين ناجحا، ويدخل في المؤهلات النفسية الخبرات والتجارِب الموقفية التي مرّ بها الإنسان في حياته أثناء تعامله مع المحيط من حوله.

وثالث هذه الكفاءات هي الكفاءة اللسانية، والتي هي في حقيقتها

أعقد الكفاءات، ولذلك استحقت أن تحتل المركز في تكوين (الكفاءة التواصلية)، فالكفاءة اللغوية تقوم على مجموعة من العناصر هي: العناصر النطقية؛ وتتعلق بالتحصيل اللغوي الكافي، والعناصر الاجتماعية؛ باعتبار اللغة موجهة من طرف (أ) إلى طرف (ب)، قصد إخباره أو التأثير فيه، والعناصر الإقناعية التي تنفي عن عملية التواصل صفة الإكراه، والعناصر الاعتقادية وهي متعلقة بمحتوى الرسالة التي ينشئها المتكلم، فهو لا ينطق إلا بما يمثل اعتقاده وقناعاته(١).

وهذا الحضور النسبي الذي أشرنا إليه هو الذي يجعلني أركز في بحثي هذا على الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ، والتي احتلت فيها الكفاءة اللسانية الحيز الأكبر، ثم عضدتها الكفاءات الأخر: المعرفية، ثم الإدراكية، وبدرجة أقل الكفاءة الاجتماعية.

ثم إن الكفاءة اللسانية وحدها لا تحقق الغاية من عملية التخاطب، وإنما لا بدّ أن تنضم إليها باقي الكفاءات، حتى ترتقي بالخطاب من الكلام إلى التخاطب، وهذه الكفاءات تحضر بنسب متفاوتة، تحددها عناصر متعددة، مثل، نوع الخطاب، وهدفه، وطبيعة العلاقة بين الطرفين، وهو ما يكوّن في النهاية ما يسمى بـ(الإستراتيجية)، فالإستراتيجية كما يقرر الشهري خطة يضعها المتكلم للوصول إلى الغرض المنشود(٢)، وهي في مجال

(١) ينظر: طه عبد الرحمن، "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام". (ط٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م)، ٣٧.

(٢) الشهري عبد الهادي بن ظافر، "استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية". (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م)، ٥٢.

التواصل توظيف للكفاءات/الملكات المختلفة عند المتكلم بالنسب المطلوبة والمناسبة لكل مقام تواصلي، والمقامات التواصلية تختلف فيما بينها في حاجتها لحضور كفاءة ما، من حيث الكثافة، ومن حيث النوع، ومن حيث الكيف، علما أن الكفاءة المركزية هي الكفاءة اللسانية (اللغوية) التي لا يمكن أن يستغني عنها مقام تواصلي.

المبحث الأول: البخل وتأثيراته على الفرد (سطوة البخل)

سأتكلم في هذا المبحث عن مفهوم البخل باعتباره ظاهرة نفسية لها امتداداتها المختلفة: اجتماعية، ولغوية، وعلاقتها بالكفاءة التواصلية سلبا وإيجابا، كل ذلك من خلال بخلاء الجاحظ.

البُخل لُغةً: البُخلُ ضِدُّ الكَرَمِ والجُودِ، وقد بَخِل بكذا: أي: ضَنَّ بما عندَه ولم يَجُدْ، ويُقالُ: هو بخيلٌ وباخِلٌ، وجمعُه بُخلاءُ، والبَخَّالُ: الشَّديدُ البُخلِ، والمِبخَلةُ: ما يحمِلُك عليه ويدعوك إليه وبه[١]، ويُعرِّفَ اصطلاحا، بعدة تعريفات منها: قول الرَّاغب الأصفهانيُّ: "البُخلُ: إمساكُ المُقتَنَياتِ عمَّا لا يحِقُّ حَبسُها عنه"[٢]، وقول ابنُ حَجَرٍ: "البُخلُ هو مَنعُ ما يُطلَبُ ممَّا يُقتنى، وشَرُّه ما كان طالِبُه مُستحِقًّا"[٣]، وقول الفيوميُّ: "البُخلُ في الشَّرعِ: مَنعُ الواجِبِ"[٤].

والبخل أنواع: بخل بالعلم، وبخل بالأخلاق، وبخل بالمقتنيات، فأما البخل بالعلم فقد ذكره العلماء القدماء تحت مصطلح (كتمان العلم)، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ

(١) يُنظَر: الجوهري، "الصحاح"، ج٤، ص١٦٣٢؛ والرازي، "مختار الصحاح" ج١، ص٧٣؛ والزبيدي، "تاج العروس"، ج٢٨، ص٦٢، والمعجم الوسيط، ج١، ص٤١-٤٢.

(٢) ينظر: الراغب الأصفهانى أبو القاسم الحسين (ت ٥٠٢هـ)، "المفردات في غريب القرآن". ط١، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (د.ط، دمشق-بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ)، ١: ١٠٩.

(٣) يُنظَر: العسقلاني، "فتح الباري". ١٠: ٤٥٧.

(٤) يُنظَر: الفيومي، "المصباح المنير". ١: ٣٨.

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[١]، قال ابنُ عبَّاسٍ: "هي في أهلِ الكِتابِ يقولُ: يَكتُمون، ويأمُرون النَّاسَ بالكِتمانِ"[٢]، وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: "كان عُلَماءُ بني إسرائيلَ يَبخَلون بما عندَهم من العلمِ، ويَنهَون العُلَماءَ أن يُعَلِّموا النَّاسَ شيئًا؛ فعَيَّرهم اللهُ بذلك، فأنزل اللهُ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ"[٣]، وقال: "هذا في العِلمِ، ليس للدُّنيا منه شيءٌ"[٤]، وقال الطَّبريُّ: "إنَّ بُخلَهم الذي وصفَهم اللهُ به إنَّما كان بخلًا بالعِلمِ الذي كان الله آتاهموه، فبَخِلوا بتبيينِه للنَّاسِ، وكتَموه دونَ البُخلِ بالأموالِ"[٥].

ويدرس حديثا في علم النفس التربوي تحت مصطلح (البخل المعرفي)، ويكون في المجال التعليمي، حيث تدرس العوامل المتسببة فيه، من نوع التخصص (أدبي، علمي)، ومن نوع الجنس (ذكر، أنثى)، ومن نوع الفئة العمرية (أطفال، بالغين)، وغيرها[٦]، والمقصود بالبخل المعرفي هنا هو أن الفرد رغم أنه يمتلك موارد عقلية، وقدرات ذهنية، ولكنه يستخدم القليل منها لإنجاز المهام[٧].

(١) سورة النساء ٣٧.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير، ٧: ٤٣٩.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في التفسير، ٣: ٩٥١، رقم ٥٣١٧.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في التفسير، ٣: ٩٥١، رقم ٥٣١٦.

(٥) ينظر: الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (د. ط، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د. ت)، ٨: ٣٥٥.

(٦) ينظر عمر ثامر حسن، ومظهر عبد الكريم سليم، "البخل المعرفي عند طلبة الجامعة". *مجلة ديالى للبحوث الإنسانية*، ع٩١، (٢٠٢٢م): ٤٣.

(٧) ينظر إيمان عوض محمد فيود، "البخل المعرفي وعلاقته بالتحيزات المعرفية وما وراء الانفعال"، *مجلة الارشاد النفسي*، م١، ع٧٦، (٢٠٢٣م):٣٠٤.

وأما البخل بالأخلاق فيدخل فيه أبواب كثيرة غامضة كما يقول ابن المقفع قلما ينتبه إليها، منها حرص الرجل على اظهار ما عنده، وقلة وقاره في ذلك، ومنها مسابقة المتحدث في الملأ لتظهر أنك تعلم مثل الذي يعلم، فلا يذهب وحده بإعجاب المستمعين"(١)، ومن نماذجه في بخلاء الجاحظ ما رواه عن إسماعيل بن غزوان الذي دخل المسجد مسبوقا، فوجد الصف تاما، وكره أن يصلي منفردا خلف الصف، فجذب ثوب أحد المصلين ليقوم معه في الصف، ثم لما رأى الفرجة في الصف الأمامي أسرع إليها(٢).

وأما البخل بالمقتنيات، فهو الذي أنا بصدد الكلام عنه في بحثي هذا، وهو المقصود بالدرجة الأولى عند إطلاق مصطلح (البخل)، وهو "إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود"(٣)، وهو اعتقاد الإنسان أن المالَ الذي يُمسِكُه شَرَف، والمال الذي يُنفِقُه تَلَف، وهو مذموم في كل الشرائع، وعند كل العقلاء من بني الإنسان، وهذا بدَورِه ينقَسِمُ إلى قسمينٍ ذكَرهما الرَّاغِبُ، فقال: "والبخل ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره، وهو أكثرها ذما"(٤).

وإذا أردنا أن نفهم بعمق ظاهرة البخل، وتفسيرها التفسير اللازم الذي تمتد آثاره على مستوى الفرد، وعلى مستوى المحيط الاجتماعي، علينا أن

(١) ابن المقفع عبدالله، "الأدب الكبير والأدب الصغير". (د. ط، بيروت: دار صادر، د. ت)، ١٣١.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، "البخلاء". (ط٢، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٩هـ): ٢٥٦.

(٣) الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ١٠٩.

(٤) نفسه.

نغوص في أعماق نفس الفرد، لنقف على الخلفيات النفسية والعقلية، التي تتجلى ظاهرة البخل من خلالها، وهي هنا عنصران، هما: حبّ التملّك، وطبيعة نظرة الفرد للمال.

أما بالنسبة لحب التملّك فهو صفة ملازمة للإنسان، بل تتعداه إلى العجماوات أيضا حسب سبنسر هربرت[١]، والملكية هي عماد الازدهار الشخصي كما يذهب إليه فيخته (Johann Gottlieb Fichte)، وهيجل (Georg Wilhelm Friedrich Hegel)، بل هي منطلق الابداع والإعمار حسب باستيا (Pastya)، وهي في الوقت نفسه المحور الأساس لمشاكلنا[٢]، لأن حبّ التملك لا بدّ أن تقابله قناعة حبّ الخير للغير، ومشاركة ما نملك مع الآخرين، فإذا ما غاب هذا العنصر الأخير اختل التوازن النفسي، ومن ثم الميزان الأخلاقي عند الفرد، ولذلك كان البخل في حقيقته "انحراف في غريزة المحافظة على البقاء، وهو الصورة المرَضية من الرغبة في التملك والادخار"[٣].

ويمكن عرض البخل بوصفه صفة ناتجة عن خلل نفسي وتصوري في الوقت نفسه في ثلاثة أجزاء:

- التعلق المبالغ فيه بالمال.
- هوى التكديس.

(١) العوا، عادل، "أسس الأخلاق الاقتصادية". (د. ط، دمشق: منشورات جامعة دمشق، المطبعة الجديدة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ٩٢.

(٢) ينظر: عزت السيد أحمد، "فلسفة الأخلاق عند الجاحظ". (د. ط، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م)، ١٣٧.

(٣) أكرم زيدان، "سيكولوجية المال: هوس الثراء، وأمراض الثروة". (الكويت: عالم المعرفة، رقم ٣٥١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٨م)، ١١٣.

– هوى الحفاظ على الغنى[١].

ومن ثَم عُدّ البخل من (أمراض المال)، إضافة إلى سلوك الرشوة، وسلوك النصب، وسلوك التهرب الضريبي، وفوبيا المال[٢].

ولقد صور لنا الجاحظ في كتابه البخلاء شخصية البخيل بأبعادها النفسية، والاجتماعية، على السواء، بل إنه عرض علينا صور البخيل وهو يحاول أن يصبح سلطة مضادة للمجتمع، من خلال إيجاد رابطة تجمع البخلاء، من خلال تحويل (البخل) من ممارسة إلى مذهب فكري وأخلاقي، يمتلك خطابا موازيا لخطاب المركز (خطاب الكرم)[٣].

ورغم أن الجاحظ لم يقدم لنا تحليلا نظريا لظاهرة البخل، ولا لشخصية البخيل، إلا أننا ندرك وعيه التام بأبعاد هذه الظاهرة (الأبعاد النفسية، والفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية)، كما ندرك كذلك وقوفه على الخصائص النفسية لشخصية البخيل، سواء الخصائص النفسية المتعلقة بالذات، أو الخصائص النفسية المتعلقة بالآخر.

والبخيل –عموما– نموذج إنساني، بمعنى أنه يتصف بصفات تلازمه في كل عصر ومصر، مع بعض التفصيلات الإضافية التي تفرضها عوامل البيئة،

(١) غريماس، وفونتني (Algirdas Julien Greimas and Jacques Fontanille)، "سميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس". ترجمة سعيد بن كراد، (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م)، ١٦٠.

(٢) أكرم زيدان، "سيكولوجيا المال"، ٦١.

(٣) ينظر: مالكية بلقاسم، "كلام بكلام، التداولية من منظور بخلاء الجاحظ". *مجلة الأثر*، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع١٢، خاص بأشغال الملتقى الدولي الرابع لتحليل الخطاب، (٢٠٠٧م): ٢٨١.

وشخصية البخيل، ولكن يكاد يجمع الدارسون أن شخصية البخيل تمتاز بـ:

أ. القلق وعدم الشعور بالأمان.

ب. الأنانية.

ج. حبّ التملك.

د. القهرية.

هـ. تحمل المسؤولية لصالح الذات.

و. السلوك الاجتنابي(١).

وعلى المستوى الاجتماعي فهي شخصية شديدة الذكاء والمكر والخداع والكتمان، تتظاهر بالفقر والحاجة، حاقدة، حسودة، تعتقد أن الناس كلهم على شاكلتها(٢).

ولم تحد شخصية البخيل عند الجاحظ عن هذه السمات، ولكن الطريف عند الجاحظ أن البخيل لا يمكن أن يعيش بمعزل عن العلاقات الاجتماعية، التي يمقتها ويذمها، سواء كانت علاقات أسرية، أو كانت علاقات جوارية، أو كانت علاقات مهنية، وهذا ما دفعه إلى الاستعانة بالحيل والمكايد في جمع المال، أو المحافظة عليه، كما دفعه إلى استنفار مؤهلاته اللسانية، للدفاع عن مذهبه في الحياة، ونظرته للمال، وتصوير كل ذلك في صورة الحكمة وحسن التدبير.

والبخيل عند الجاحظ صنفان، صنف يبخل عن نفسه، فيحرمها اللذات وما تشتهيه، ويصل به الأمر إلى حرمانها من الضروريات، وصنف يتبع نفسه

(١) ينظر: أكرم، "سيكولوجية المال"، ١١٧؛ ورشدي محمد خليل، "الأبعاد النفسية والاجتماعية لشخصية البخيل"، *مجلة أوراق كلاسيكية*، ع١٨، (٢٠٢١م): ٦٣٣.

(٢) رشدي محمد خليل، "الأبعاد النفسية والاجتماعية لشخصية البخيل"، ١٨: ١١٩.

هواها، ويغدق عليها كل أنواع الملذات، ولكنه في المقابل يحرم الآخرين من أقل القليل عنده، لأنه زاهد في كل ما يجلب الشكر من الناس، أو الأجر من الله تعالى، والبخيل في الحالتين إنسان موسر، غني، يملك ما يكفيه ويزيد، فليس البخيل عند الجاحظ من ضاق عيشه، وقل ماله، فلم يجد ما يكفيه(١).

وقد تنوعت مظاهر البخل في كتاب الجاحظ، وتعددت مستوياته، ويمكن حصرها في:

١. البخل على الذات، سواء في المأكل، أو المشرب، أو الملبس(٢).
٢. البخل على الأهل: الأمهات، والأولاد والزوجات(٣).
٣. البخل على الأقارب: الخدم وذوي الأرحام(٤).
٤. البخل على الأصحاب(٥).
٥. البخل على الأغيار: في المعاملات اليومية، والتعاملات التجارية(٦).

ومن هنا ندرك (سطوة البخل) على نفس البخيل، بحيث يجعله لا يراعي إلاً ولا ذمّة، لا في أهل من أمّ وولد وزوج، ولا في قريب من خدم وأعمام وأخوال، ولا في أصحاب وخلان وجيران، ولا مع غير هؤلاء ممن كان من عامة الناس، الذين تلجئهم الظروف للتعامل معه، فالبخل يعمي صاحبه، ويستنفر فيه كل مؤهلات النباهة، والدهاء، والحيطة، كما يستدعي عنده كل صور

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٢١٠.

(٢) قصة الغزّال نموذجا، ١٦٠.

(٣) فيلويه ص١١٣، أبو القماقم ص١٦٦، أحمد اليزيدي ص٦٧، نموذجا.

(٤) خالد بن صفوان ص١٩٤، والمكي مع عمّ أبيه ص ١٦٤، نموذجا.

(٥) الكندي ص٨١، نموذجا.

(٦) أبو سعيد المدائني ص١٣٧، الكندي ص٨١، إسماعيل بن غزوان ص١٣٠، نموذجا.

الحيلة والمغالطة، فينطلق لسانه ليحقق له كل ذلك، ومن هنا كان البخل عاملا من عوامل تحفيز القدرات التواصلية عنده.

مع العلم أنه من مظاهر سطوة البخل على نفسية صاحبه، أنه يجعله دائم الهمّ، عميق الحزن، محاصرا بالخوف، مشغول البال بحساب كلّ موقف، والتدقيق في كلّ تصرف، وكل ذلك يظهر في وجهه وفي تصرفاته، ولحن قوله، فهو شخصية حوّلها البخل إلى شخصية عنيفة مع من حولها، وهذا العنف يظهر في التصورات (عنف إيديولوجي ونفسي)، وفي التصرفات (عنف اجتماعي)، وفي الخطاب (عنف كلامي)[١].

وقد بلغ من سطوة البخل على شخصية صاحبه أنه يحرمه حتى من الانبساط النفسي، ولذلك قال أحدهم حين عوتب في قلة الضحك وشدة القطوب: "إن الذي يمنعني من الضحك أن الإنسان أقرب ما يكون من البذل إذا ضحك وطابت نفسه"[٢].

بل إن سطوة البخل على شخصية البخيل تمتد إلى معجمه اللغوي، فتمنعه من التعامل مع كل ما يتعلق بـ(الجود) من كلمات وعبارات ومعان، وذلك مما أثار إعجاب وتعجب الجاحظ، أشد العجب من صاحب الثريدة البلقاء، الذي رغم كثرة أحاديثه، وتفننه في تصريف القول في جميع المعاني، إلا في ذكر الجود فهو لم يسمعه قط جرى على لسانه، فقد "خرج هذا الباب من لسانه، كما خرج من قلبه"[٣]، وقد ضبط ذلك وقوي عليه، وهو ليس بالأمر الهيّن.

(١) ينظر: الجويلي، محمد، "نحو دراسة في سوسيولوجية البخل". (د. ط: القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٩٠م)، ٩٥، و١٥٣.

(٢) الجاحظ، "البخلاء"، ١٦٤.

(٣) الجاحظ، "البخلاء"، ٢٥٣.

وقد حكم الجاحظ على البخيل أنه مغلوب، ومسخّر، وقد ظهرت ملامح هيمنة البخل وسطوته على صاحبه في مجموعة من المظاهر، أوردها الجاحظ على شكل تساؤل حول الشيء الذي خبل عقولهم، وأفسد أذهانهم، وأغشى أبصارهم، ونقض الاعتدال في شخصياتهم، ودفعهم لعداء الحق، ومخالفة الأمم، وأوقعهم في المزاج المتناقض، الذي يجمع الشيء وضدّه في شخصيتهم، وكل هذه المظاهر ليس وراءها إلا (آفة البخل)[١].

ثم إن سطوة البخل من فرط قوتها قد تتعدى البخيل إلى ما يحيط به، حتى حيواناته، فهذه ديوك مرو –على خلاف ديوك الأرض– تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحَبّ[٢]، فضلا عن ذراريه ونسائه وخدمه.

ثم إنه من مظاهر سطوة البخل على نفسية صاحبه أنه يتجاوز مخاطبة الإنسان إلى مخاطبة الحيوان والجماد، كما فعل إسماعيل بن غزوان حينما خاطب درهمه، مخاطبة مناجاة وتطمين[٣].

كما أنه من مظاهرها استنفار قدرات البخيل الذهنية وإرهاقها في تفاصيل الحياة، التي لا تستحق كل ذلك التفكير والعناء، وذلك ما جعل أبا سعيد المدائني يفكّر مدة ستة أشهر في غسل ثوبه المتسخ من عدمه[٤].

(١) الجاحظ، "البخلاء"، ١٨.
(٢) الجاحظ، "البخلاء"، ٣٨.
(٣) الجاحظ، "البخلاء"، ١٧٤.
(٤) الجاحظ، "البخلاء"، ١٨٤.

المبحث الثاني: الكفاءة التواصلية عند بخلاء الجاحظ (سلطة القول)

بيّنت فيما مضى (تأثيرات البخل) على شخصية البخيل، وكيف أنها تبسط هيمنتها على تصوراته ومشاعره، بحيث يصبح عبدا لها، هذه التصورات والمشاعر المتمكنة من تفكير البخيل ومشاعره، لا يلبث أن تظهر على شكل مادي محسوس، تظهر في حياة الفرد الذاتية، كما تظهر في حياته الاجتماعية، من خلال المواقف والمعاملات والحوارات.

ولعل أوفر هذه العناصر في إظهار هذه السطوة على قناعات البخيل ورؤاه هو عنصر اللغة، إذ البخيل يعلم أنه يتبنى مذهبا إيديولوجيا مرفوضا من المجتمع من حوله، بل ومرفوض من فطرته السليمة التي جبل عليها، يرفضه عقله، كما يرفضه العقل الجمعي، ومن ثَمّ فهو مجبر على خوض صراع عنيف مع ذاته ومع الآخر، والذي يحمل في طياته بعض سمات الصراع الداخلي المتواري.

ومن أهم وسائل البخيل التي يعتمد عليها في الدفاع عن مذهبه هي اللغة، وإدراكا منه لخطورتها ولدورها في كلّ ذلك، فقد حاول التمكّن منها، والسيطرة عليها، ليسيطر -كما يتوهم- على فكر الآخر وعاطفته، ليجذبه إلى قناعاته وتصوراته، فيحقق بذلك هدفين اثنين رئيسين هما: دفع ما يتهم به من سوء الخلق (البخل)، والثاني هو إقناع الآخر بالتزام نظرته في تصريف شؤون المال وما يملك بحكمة وتدبير.

ومن ثم فقد اتسمت لغة بخلاء الجاحظ بالقوة في كثير من جوانبها، وهذا ما دعاني إلى التركيز على (الكفاءة التواصلية).

وهنا قد يتبادر سؤال إلى الذهن، مفاده: أليس الكلام عن (الكفاءة التواصلية) يتعارض مع ما ألمحت إليه سابقا من أن البخيل بطبعه إنسان انعزالي، يرى في التعامل مع الناس مغرما، يستوجب مؤونة وتضحية، بينما

الابتعاد عنهم مغنما، يورث الراحة والسلامة؟

والإجابة عن هذا السؤال من وجوه:

- **الوجه الأول**: أن العزلة التي يعيشها البخيل هي في حقيقتها عزلة (شعورية) أو (نفسية) أكثر منها اجتماعية، ولذلك كان بخلاء الجاحظ يخالطون الناس، يغشون المساجد، والمجالس، والمناسبات، ويتخذون الأصحاب والخلان، ومثاله ما ذكره عن بعضهم أنهم " ربما ترافقوا وتزاملوا، فتناهدوا وتلازموا في شراء اللحم، فإذا اشتروا اللحم قسموه، قبل الطبخ، وأخذ كل إنسان منهم نصيبه فشكه بخوصة أو بخيط، ثم أرسله في خل القدر والتوابل"[(١)]، وعن آخرين الذين يسافرون مجتمعين، فإذا جاء وقت الطعام تفرقوا.
- **الوجه الثاني**: أن شخصية البخيل شخصية (انفصامية[(٢)])، بحيث تجمع بين المتناقضات، كما وصفها الجاحظ بـ(التركيب المتضاد، والمزاج المتنافي)، غباء شديد، وفطنة عجيبة، وإدراك الجليل الغامض، مع الغفلة عن الجليل الواضح[(٣)].

(١) الجاحظ، "البخلاء"، ٤٤.

(٢) الفصام مرض عقلي يصنف ضمن فئة الأمراض النفسية المعروفة بالذهان، ويعد أكثرها انتشارا، وهو مرض يصيب الشخصية بالتصدع، فيختل عندها التكامل بين الجوانب الفكرية والانفعالية والحركية والإدراكية، فيصبح كل جانب وكأنه مستقل عن غيره، وتكون بذلك ردات الفعل الانفعالية والسلوكية منفصلة عن عالم الخبرة والواقع كل الانفصال. ينظر: فرج عبد القادر طه وآخرون، "معجم علم النفس والتحليل النفسي". (ط١، بيروت: دار النهضة العربية، د. ت)، ٣٤٨.

(٣) الجاحظ، "البخلاء"، ١٨.

- ومن ثم فالبخيل من جهة يحب النأي بنفسه عن الناس، لأنه –كما يتصور– لا يجني من وراء ذلك إلا الخسران، وإن كان هؤلاء الناس من ذوي القربى، ومن جهة ثانية فهو لا يمكنه أن يمارس بخله إلا في وسط اجتماعي، ولذلك نجد البخلاء في جميع طبقات المجتمع، يمارسون حياتهم بشكل عادي مع الناس، إن في الأسواق، وإن في المحافل والاجتماعات.
- **الوجه الثالث**: أن شخصية البخيل شخصية (إصلاحية) حسب تصورها، لأنها ترى أن المجتمع منحرف تصوريا وسلوكيا تجاه المقتنيات أو الممتلكات أو المال، ومن ثم فهي تعمل على إصلاح هذا المجتمع من خلال تقديم التصورات الصحيحة، والمواقف الواجبة، تجاه ما يملك الإنسان، ومن البدهي أن هذا الإصلاح يقتضي المخالطة والمعايشة.

إذن كانت سطوة البخل هي المحفز الأساس لسلطة القول عند البخيل، إذ البخل بأبعاده التصورية والنفسية ولّد لدى صاحبه قوة منقطعة النظير، للدفاع عن مذهبه، والصراع من أجل إثبات صحة وجهة نظره، بل وإثبات خطأ النظرة المغايرة التي استقرت عند عامة أفراد المجتمع تجاه المال وما في حكمه.

كل ذلك دفع البخيل إلى استخراج كل ما عنده من مؤهلات خِطابية وحجاجية لتحقيق ذلك، وقد لاحظ الجاحظ كل ذلك، وعليه أبدى إعجابه بطريقة البخلاء في الدفاع عن مذهبهم، وبمستوى اللغة التي يستعملونها في محاوراتهم ومحاججاتهم للمخالفين، رغم أنه يبدي في الوقت نفسه ازدراءه لما اتصفوا به من بخل وشح إلى حدّ التهكم والسخرية.

فهو يشهد لهم بأعاجيب كثيرة منها تبديل المفاهيم للمصطلحات، وبنائها على النقيض مما هي عليه عند عامة العقلاء، كتسميتهم البخل

إصلاحا، والشح اقتصادا، والجود سرفا، والأثرة جهلا، وأنهم يستعملون في محاوراتهم المعاني الشداد والألفاظ الحسان، مع جودة الاختصار، وتقريب المعنى، وإصابة الموضع.

وفي مقابل هذه القدرات اللسانية، يثبت لهم الجاحظ أيضا شدة العقول، واتساع المعرفة، والفطنة العجيبة، وقوة الاحتجاج، إلى درجة الوصول إلى الغايات البعيدة، والمعاني اللطيفة(١).

ومجموع هذه المؤهلات يكوّن ما يسمى (الكفاءة التواصلية)، فهي تشمل القدرات اللسانية عند هذه الفئة، مع المؤهلات الذاتية المتعلقة بالنباهة واتساع المعرفة، وحسن توظيف اللغة في المقام التخاطبي، ومراعاة المتلقي إثناء إنشاء الرسالة الكلامية.

ولا أبالغ إذا قلت إن من أهم أهداف الجاحظ في كتاب البخلاء هو عرض هذه الكفاءة التواصلية، التي اتصف بها بخلاؤه، بل وجعلها على رأس الأهداف الثلاثة التي حددّها لكتابه، وهي: "تبين حجة طريفة، أو تعرف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة"(٢).

كما أنه بيّن لنا في مقدمة البخلاء الدور الكبير الذي يؤديه المقام التواصلي في التفاعل مع النادرة، فالنادرة تضعف إذا تمّ قطع ما بينها وبين عناصرها ومعانيها(٣)، وفي المقابل لو أن نادرة حارة نسبت إلى رجل مبغوض عند المتلقي لصارت فاترة، حتى إنه يعلل لبعض الحوارات التي قطعها هو عن

(١) ينظر مقدمته للبخلاء، من ١٦ إلى ١٨.
(٢) الجاحظ، "البخلاء"، ٢١.
(٣) الجاحظ، "البخلاء"، ٢٤.

أصحابها أن القطع كان لأحد سببين هما الخوف منهم، أو إكراما لهم[١]، وإلا فإن الأصل أن يربط كل حديث بسياقة التخاطبي، وقد علق على حكاية الطرسوسي بقوله: "وهذا وشبهه إنما يطيب جدا، إذا رأيت الحكاية بعينك، لأن الكتاب لا يصور لك كل شيء، ولا يأتي لك على كنهه، وعلى حدوده وحقائقه"[٢]، وللعلة نفسها ترك إصلاح اللحن، أو إعراب الكلام غير المعرب، أو تصويب لفظ معدول عن جهته[٣].

ويمكن أيضا أن نستأنس هنا بوصفه لكلام شخصيات بعينها، مثل قوله في خالد بن يزيد مولى المهالبة بأنه كان: "قاصا متكلما بليغا داهيا"[٤]، ويصف آخر بأنه "فخم اللفظ، فخم المعاني...مع علم جم ولسان عضب"[٥]، وعن الكندي يقول: "فكانوا لطيبه وإفراط بخله وحسن حديثه يحتملون ذلك"[٦]، وفي كفاءة تمام ابن جعفر في القياس والمجادلة رغم غلبة الطرب "فلم أسمع بإنسان قط يقايس ويناظر في الوقت الذي إنما يشق فيه القميص من غلبة الطرب، غيره وغير مولاه محلول"[٧]، وفي أبي سعيد المدائني يقول: "وكان شديد العقل، شديد العارضة، حاضر الحجة، بعيد الروية"[٨].

(١) الجاحظ، "البخلاء"، ٢٥.
(٢) الجاحظ، "البخلاء"، ٨٧.
(٣) الجاحظ، "البخلاء"، ٦٧.
(٤) الجاحظ، "البخلاء"، ٧٣.
(٥) الجاحظ، "البخلاء"، ٨٦.
(٦) الجاحظ، "البخلاء"، ١١٣.
(٧) الجاحظ، "البخلاء"، ١٦٠.
(٨) الجاحظ، "البخلاء"، ١٨٠.

ثم هو يبدي إعجابه من صاحب الثريدة البلقاء، الذي استطاع أن يغلب نفسه فلا يذكر الجود قط، على كثرة كلامه وأحاديثه[١].

كل ذلك يثبت الكفاءة التواصلية التي كان عليها بخلاء الجاحظ، إلى درجة أنه أبدى إعجابه بهم في هذا الجانب، مع استهجانه لمذهبهم في الحياة، إلى حدّ السخرية والتهكم كما مرّ بنا، ولا عجب أن يصل هؤلاء البخلاء إلى هذه المرتبة من الكفاءة التواصلية، وهم الذين أخلصوا أنفسهم للدفاع عن البخل، الذي ملك عليهم عقولهم وقلوبهم، فباتوا لا يفكرون إلا فيه، ولا يدورون إلا في فلكه، ومَن داوم التفكير في أمر ما، وأطال التدبر فيه، وأخلص له اهتمامه، لا شك أنه سيعدّ له كل لفظ، وكل عبارة، وكل صورة، وكل دليل، فيصبح بذلك من أهل الاختصاص في ذلك المجال، وهذا ما نلاحظه عند أصحاب الصنائع وأرباب المهن، فإن ألسنتهم تنطلق بأمهر ما يكون الانطلاق إذا هم تحدثوا فيما يخص مجالهم، وكذلك الحال في صاحب البخل، الذي لا يدور بخلده في يقظته وحتى في نومه إلا ما تعلق بمذهبه في البخل، ومن ثمّ فإن المجال اللغوي المتعلق بالبخل (مفردات، وعبارات، ودلالات، وصور..) دائمة الحضور في ذهنه، مستعدة في كل لحظة أن تمتطي لسانه لتردع كل مخالف.

(١) الجاحظ، "البخلاء"، ٢٥٣.

المبحث الثالث: مظاهر (الكفاءة التواصلية) عند بخلاء الجاحظ

سبقت الإشارة فيما ما مضي إلى أن (الكفاءة التواصلية) كفاءة شاملة، تضم عدة كفاءات فرعية، هي: الكفاءة الاجتماعية، والكفاءة الذهنية، والكفاءة اللسانية، وهذه الكفاءات مجتمعة تكوّن الكفاءة الكبرى وهي (الكفاءة التواصلية)، وتتحدد سمات هذه الكفاءة الجامعة قوة وضعفا بحسب وضعية كل كفاءة فرعية وسمتها، وسأحاول تتبع سمات هذه الكفاءات عند بخلاء الجاحظ، وسأتناول مظاهر كل كفاءة على حدة في بخلاء الجاحظ.

أ) مظاهر الكفاءة الاجتماعية:

إن الكفاءة الاجتماعية هي مجموعة من المهارات التي تساعد الفرد على التواصل الفعال مع الآخرين، وأداء الأدوار الاجتماعية المطلوبة، وبناء العلاقات مع الآخرين، وتعزيزها، ويصورها بعض علماء الاجتماع على شكل هرمي ثلاثي الأبعاد يكوّن (المهارات الاجتماعية)، تضم قاعدته القدرة على ضبط الانفعالات والسلوك، كما تضم الخبرات المعرفية الاجتماعية التي تؤدي إلى الأداء الكفء في المواقف الاجتماعية(١)، يعلوها (الأداء الاجتماعي)، والذي يعني استجابة الفرد للمواقف الاجتماعية بصورة تنسجم مع المعايير الاجتماعية المشتركة، يعلوها في قمة الهرم (التكيّف الاجتماعي)، والذي يتلخص في تحقيق الفرد لأهدافه المقبولة اجتماعيا.

وهذه الأبعاد متى ما توافرت بشكل متوازن نتج عنها نجاح الفرد اجتماعيا، وأي نقص فيها نتج عنه في المقابل (قصور) في المهارات الاجتماعية.

(1) Cavell, T. A. Social adjustment, social performance, and social skills: A tri-component model of social competence. (1990), Journal of Clinical Child Psychology, 19(2), 111–122

وتصنف المهارات الاجتماعية إلى:

- المهارات الاجتماعية العامة: وتمثلها السلوكات المختلفة التي لها قبول عند المجتمع، ويمارسها الفرد لفظيا أو غير لفظي، أثناء التعامل مع الآخرين.
- مهارات اجتماعية شخصية: وتظهر في التعامل الإيجابي مع المواقف والأحداث الاجتماعية.
- مهارات المبادأة التفاعلية: وتعني المبادرة بالتواصل والحوار والتفاعل.
- مهارة الاستجابة التفاعلية: والمقصود بها حسن الاستجابة لمبادرات الآخرين في الحوار، أو طلب المساعدة أو المشاركة.
- المهارات الاجتماعية المتعلقة بالبيئة الخاصة: مثل بيئة العمل أو الدراسة، بحيث يعطي الفرد للبيئة التي يكثر وجوده بها (عمل، دراسة، سفر...) ما تحتاجه من مهارات خاصة يتحقق من خلالها التفاعل المطلوب(١).

ونحن إذا رجعنا إلى طبيعة البيئة الاجتماعية لبخلاء الجاحظ، سواء من خلال كتابه (البخلاء)، أو من خلال الكتب الأخرى التي أرخت للمجتمع الإسلامي في تلك الحقبة، وفي تلك الرقعة الجغرافية، لوجدنا بيئة اجتماعية يمكن أن توصف بأنها حيّة ومتنوعة وثرية، إذ انتقلت من (طور البداوة) وما يحمله من بساطة وهدوء، إلى (طور المدَنية) وما يحمله من تعقيد وضجيج،

(١) ينظر: علي عبد الرحيم صالح وحسام محمد مشد، "الكفاية الاجتماعية وعلاقتها بفاعلية الذات لدى طلبة الجامعة". *المجلة العربية لعلم النفس*، جامعة القادسية، العراق، ع٣، (٢٠١٧م):٢٧.

هذه المدَنية التي زادت من ارتباط مصالح الفرد بمصالح المجموعة، فأصبح البعد الاجتماعي ضروريا جدا في حياة الفرد، لا يمكنه أبدا الاستغناء عنه، وإن رام ذلك، فضرورات الحياة تقتضي التشارك، وكان من سمات هذه المدَنية انتاج وجهين من الحياة، حياة مترفة عند طبقة معينة من المجتمع، وحياة بئيسة عند فئات أخرى (التفاوت الطبقي)[1].

ومن المؤكد أن الاتجاه المادي هو الغالب في حالة (المدَنية)، في مقابل الجانب الأخلاقي الذي يطبع حالة (البداوة)، وهذا ما ظهر في مجتمع بخلاء الجاحظ، فالتحولات الاقتصادية والاجتماعية جعلت حياة الفرد صعبة، تقتضي منه التسلح بالعنف الاجتماعي لضمان مصالحه، التي أصبح تحقيقها ليس بالأمر الهيّن، بل يحتاج منه إلى جهد كبير لتأمين متطلبات الحياة، ومن ثم تعقدت علاقة الفرد بالمال، وازدادت حاجته إليه، مع تعارض مصالحه في كثير من الأحيان مع مصالح غيره من أفراد المجتمع، وهو ما جعل هذه العلاقة تتسم بالعدائية، خاصة عند فئة البخلاء، وهي الفئة التي تنطلق من عقدة تعظيم المصالح الذاتية وتقديمها على المصالح الجماعية، بل واستغلال مصالح الآخرين لتحقيق المآرب الخاصة، وذلك كله يعود إلى سقوط القيم الاجتماعية في نفس البخيل، لتعوضها زيادة الارتباط بالماديات، والخوف من المستقبل المجهول، وعدم الثقة بالله تعالى، فكان الحلّ هو تحصيل المال بكل السبل، ثم ادخاره والمحافظة عليه، فعلاقة البخيل بالمال علاقة مزدوجة، حب متطرف، وخوف شديد من تقلباته[2].

(١) ينظر: علاء الدين رمضان، "صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء". (د. ط، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٣م)، ٣٦٨.

(٢) ينظر: الجويلي، "نحو دراسة في سوسيولوجية البخل"، ٥٥.

وكل تلك الظروف شكلت العلاقة بين البخيل ومجتمعه، هذه العلاقة التي يؤطرها الحذر من جهة، ويغذيها الصراع الأيديولوجي الناتج عن تغاير النظرة المعرفية للحياة بصورة عامة بمادياتها وقيمها من جهة أخرى، وهذا ما أنتج (العنف الاجتماعي) عند البخيل، والذي نلحظه بشكل جلي في لغته وفي حواراته.

وحتى لا يقع البخيل في فخ (العزلة الاجتماعية) التي لا تخدم قناعاته، اهتدى إلى طريقة تحقق له (الاندماج الاجتماعي) المدروس، وذلك من خلال مظهرين اثنين:

- إنشاء مجتمع مصغر منسجم الأفكار والتصورات، وهو مجتمع البخلاء، إذ أصبح البخل –كما أشار الجاحظ– مذهبا معتنقا من فئة من الناس، تتلاقى وتتدارس شؤونها، وتبلور أفكارها تجاه الممتلكات وتصريفها(١).
- ضبط صور التواصل بالمجتمع العام، وتحقيق (السيطرة التواصلية)، لضمان التأثير دون التأثر، فالبخيل هو صاحب الهيمنة في أي حوار بينه وبين غيره، وهو صاحب الرأي السديد، والفكر الراجح، والسلوك الملتزم، والحكمة الظاهرة، وما (الوصايا) التي كثيرا ما تصدر عن البخيل، إلا مظهر من مظاهر هذه السيطرة(٢).

ب) **مظاهر الكفاءة الذهنية:**

قلت فيما مضى إن الكفاءة الذهنية تتعلق بالمؤهلات العقلية والمعرفية،

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٥٣.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٣.

والنفسية لمنتج اللغة ومتلقيها، ونحن إذا عرضنا بخلاء الجاحظ على هذه المؤهلات الثلاثة التي تكوّن هذه الكفاءة، نلاحظ أنهم حازوا على نصيب وافر منها، فهم أذكياء يجيدون القياس والمقارنة، والتعليل والتدليل، كما يتقنون المغالطة والحيلة والاستدراج.

وقد تنبّه الجاحظ إلى ذلك، حتى إنه وسمهم أنهم يتوافرون على (فطنة عجيبة)، و(إدراك الغامض)، وأنهم يمتازون بـ(شدّة عقولهم)، و(وقوة احتجاجهم)، مع توافرهم على (علم جمّ)[١]، والواحد منهم تجده "شديد العقل، شديد العارضة، حاضر الحجة، بعيد الروّية"[٢]، "ومعرفة بالغامض من العيوب، والدقيق من المحاسن"[٣].

ومما يبيّن قدرتهم الكبيرة على المقايسة والمجادلة في كل الحالات، وعلى جميع الهيئات، التي لا تسمح للإنسان العادي بذلك، قول الجاحظ في وصف أحدهم، وهو تمام بن جعفر: "فلم أسمع بإنسان قط يقايس ويناظر في الوقت الذي إنما يشق فيه القميص من غلبة الطرب، غيره وغير مولاه «محلول»"[٤]، ويقول في وصف أبي سعيد المدائني الذي كان إماما في البخل بالبصرة، إنه: "كان شديد العقل، شديد العارضة، حاضر الحجة، بعيد الروية"[٥].

ولعل من شواهد كفاءتهم الذهنية تلك المواقف والتدابير التي يهتدون إليها أثناء التعامل مع الأشياء ومع الناس، فهم يتقنون التصرف في الممتلكات،

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٧-١٨-٨٦.
(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٧٥.
(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٨٦.
(٤) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٦٠.
(٥) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٨٠.

كما يجيدون إدارة علاقاتهم بالآخرين، بحيث يحققون ما يهدفون إليه، ومن أمثلة ذلك فعل تمّار مع غلامه ليكشف جرمه وهو الأكل من التمر دون علمه، وتدبير مريم الصنّاع زواج ابنتها، وصنيع معاذة العنبرية في استغلال كل أجزاء الشاة لزمن طويل(١).

وهم أيضا على قدر كبير من المؤهلات المعرفية، ولذلك أقر الجاحظ لهم بسعة المعرفة(٢)، فنحن أمام ظاهرة البخيل المثقف، الذي له معرفة تامة بالشخصيات والأحداث، سواء ما تعلق منها بزمانه، أو ما تعلق منها بالتاريخ، وهو ملمّ بأقوال السابقين شعرا ونثرا، كما له معرفة عميقة بنصوص الوحي (قرآن وحديث)، وطرق توظيفهما لنصرة مذهبه في الحياة، ومما ساعد طائفة البخلاء في تحصيل هذه المعرفة الجمّة والمتنوعة هو طبيعة العصر الذي وجدوا فيه، فهم ينتمون إلى العصر العباسي الذي ازدهرت فيه الثقافة العربية وتألقت، بتوافر عوامل كثيرة، منها قوة الدولة السياسية، وتنوع الأعراق والأجناس، إضافة إلى توافر مراكز العلم والمعرفة كالأسواق والمساجد، والمجالس، وكثرة العلماء، وتشجيع الحكام والوجهاء واحتفائهم بالعلم والعلماء، وغيرها، كل ذلك جعل المجتمع العباسي في هذه الفترة على قدر كبير من الثقافة والمعرفة والعلوم(٣).

وبتوافر كل هذه المؤهلات عند بخلاء الجاحظ استطاعوا أن يصوغوا لنا ما يمكن تسميته (مبادئ التعامل مع الممتلكات)، مبادئ تغطي على حبهم

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٧٦، ٥٥، ٥٩.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٦.

(٣) ينظر: علاء الدين رمضان، "صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء"، ٣٦٩.

المرَضي للمال والممتلكات، وتدفع المتلقي لكلامهم إلى الإذعان لرأيهم ومذهبهم، ومن هذه المبادئ والأفكار[١]:

- المال هو المصدر الوحيد للقوة والهيبة والمكانة.
- الرغبة في المال واكتنازه هي بدافع من التديّن.
- اكتناز المال حكمة لمواجهة تقلبات الزمن.
- اكتناز المال مدعاة إلى المثابرة، ومدعاة إلى العقل والحكمة.
- المنع للمال وإمساكه ضمان لمستقبل الذريّة.

ج) مظاهر الكفاءة اللسانية:

إن بخلاء الجاحظ –وهو نموذج البخلاء في كل زمان– يتمتعون بكفاءة لسانية عالية، جعلت الجاحظ، رغم ذمّه لمذهبهم في البخل، وخروجهم عما أجمع عليه الناس، حيث حسنوا القبيح، وقبحوا الحسن، يشيد بمؤهلاتهم اللغوية، في أكثر من موضع، كقوله يصف أحدهم بأنه فخم اللفظ، فخم المعاني، تربية في ظل ملك، مع علم جم، ولسان عضب"[٢]، وقال عن آخر: "فكانوا لطيبه وإفراط بخله، وحسن حديثه، يحتملون ذلك"[٣]، وقال عن أبي عبد الرحمن: "وأبو عبد الرحمن هذا شديد البخل، شديد العارضة، عضب اللسان، وكان يحتج للبخل ويوصي به ويدعو إليه"[٤]، وقال عن صاحب الثريدة البلقاء بأنه كان يفتن في أحاديثه[٥]، ومما أشار إليه الجاحظ في قدرة

(١) ينظر: أكرم، "سيكولوجية المال"، ٣١.
(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٨٦.
(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١١٣.
(٤) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٣.
(٥) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١١٣.

البخيل اللسانية أنه يمكنه أن يسيطر على معجمه اللغوي، فلا يجري على لسانه إلا ما يخدم مذهبه ونحلته، وكيف أنه يستطيع مع كثرة كلامه وتفننه في أحاديثه أن يتحاشى ذكر الجود، وما يتصل به بسبب[١].

ولعل هذه المؤهلات اللسانية هي التي دفعته إلى تأليف كتابه البخلاء، وهي ما اصطلح عليها الجاحظ بـ(النوادر) و(المُلَح) و(الأعاجيب)[٢]، ولذلك ركز –كما صرح في مقدمة كتابه– على ما صدر منهم من خطاب، سواء أكان ملحة، أم احتجاجا، أم رسالة، أم كلاما، أم خطبة، فهذه الخطابات على تنوعها تشترك في مجموعة من الميزات الخِطابية، ذكرها الجاحظ في قوله: "ثم احتج لذلك بالمعاني الشداد، وبالألفاظ الحسان، وجودة الاختصار، وبتقريب المعنى، وبسهولة المخرج، وإصابة الموضع"[٣]، وهذه الميزات تذكرنا بما أثبته الجاحظ في البيان والتبيين لمفهوم البلاغة، حيث جعل شروطها موافقة الكلام لمقتضى الحال، ومتانة العبارة، وفصاحة اللفظة، وإصابة المعنى، والبصر بالحجة، وحسن الموقع، واختيار الألفاظ، والإيجاز، الذي هو حذف الفضول وتقريب البعيد[٤]، من غير استعانة ولا حبسة ولا إعادة، وتخيّر اللفظ في حسن إفهام[٥]، حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه[٦]، ومنها ما يكون في

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٣٥٣.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٦.

(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٧.

(٤) الجاحظ عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، "البيان والتبيين". (د. ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ٩١ إلى ٩٩.

(٥) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١١٢.

(٦) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١١٣.

الاحتجاج[1]، والبلاغة إظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق[2]، والألفاظ المتخيّرة والمعاني المنتخبة، وعلى الألفاظ العذبة، والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكن، وعلى السبك الجيّد.

وكل هذه العناصر مشار إليها في وصفه لمنطق البخلاء، الذي توافرت فيه سمات القوة، على مستوى اللفظ، وعلى مستوى المعنى، ومن ثم حازوا على إعجابه، وإشادته بمؤهلاتهم اللغوية، والتي يمكن أن نصنفها بحسب ما تتعلق به إلى:

١) مؤهلات معجمية (الألفاظ الحسان).

٢) مؤهلات تركيبية: جودة الاختصار.

٣) مؤهلات دلالية: تقريب المعنى.

٤) مؤهلات حجاجية: الاحتجاج بالمعاني الشداد، وإصابة الموضع.

فالنسبة **للمستوى المعجمي**: فإن المعجم له قدرة كبيرة في تحديد البنيات الدلالية والكشف عن الحقول الدلالية في الخطاب حيث إنّه المفتاح الذي يحدد البنيات الأساسية، لهذا كان هو أول ما لفت نظر الجاحظ عند هذه الفئة، التي أوتيت القدرة على اللعب بالكلمات، بتغيير دلالاتها، وتحوير معانيها، لمراوغة المتلقي، واستدراجه حيث تسهل غلبته وحجاجه، وهذا التدليس في مدلولات الألفاظ تفرضه الطبيعة البشعة للبخل، الذي ترفضه الطباع الإنسانية السوية، وعليه لم يكن أمام البخيل إلا أن يداري سوءة البخل، وفظاعته، ودمامته باللغة.

(١) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١١٤.

(٢) الجاحظ، "البيان والتبيين"، ١٨٩.

ومن نماذج ذلك عندهم تسميتهم البخل اصلاحا، والشح اقتصادا، والمنع حزما، والجود سرفا، والأثرة جهلا[١]، ثم هم بعد ذلك يتخيرون معجمهم اللغوي بعناية فائقة، مركزين على الكلمات ذات البعد الإيديولوجي في ثقافة المتلقي، مثل الكلمات التي شاع استعمالها في الحكم والأمثال، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ويعدّ هذا منهم ذكاء ونباهة، لإدراكهم تأثير الخلفية المفاهيمية لمفردات اللغة على توجيه فكر المتلقي وقناعاته.

ثم إنهم لا يعترفون بهذا التبديل، وذلك التدليس، بل إنهم يعدّون ذلك زعما واتهاما من خصومهم، الذين –في نظر البخلاء– هم الذين يجيدون هذا الحيلة (اللعب بالكلمات)، فهم الذين يسمون السرف جودا، والنفج أريحية، وسوء نظر المرء لنفسه ولعقبه كرما[٢].

ثم إنهم بعد ذلك يتفننون في اختيار ألفاظهم، حيث كثيرا ما يلجؤون إلى الألفاظ القوية، التي تعينهم على كسب معركة الحوار مع الخصوم، فهذا أحدهم وقد كان –كما وصفه الجاحظ– في جماعة كبيرة والقوم سكوت، والمجلس كبير، يقول مخاطبا هؤلاء جميعا: "حسدتم للمقتصدين تدبيرهم...فالتمستم تهجينهم بهذا اللقب، وأدخلتم المكر عليهم بهذا النبز"[٣]، فنلاحظ هنا –وهو في مقام التشنيع على مخالفيه– كيف استعمل معجما تمكنه مفرداته من تحقيق ذلك، وهذه المفردات هي: حسدتم، تهجين، المكر، النبز.

وفي مقام آخر يوصي بخيل ابنا له بما يجب أن يلتزم به أثناء الأكل، وهي

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٦.
(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٢٨.
(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٩٤.

تهديدات أقرب منها إلى الوصايا، وذلك نظرا لطبيعة الألفاظ التي اختارها هذا البخيل لتوجيه ابنه، ومما جاء فيها: "إياك ونهم الصبيان، وشره الزراع، وأخلاق النوائح، ودع عنك خبط الملاحين والفعلة، ونهش الأعراب والمهنة"(١)، فنلاحظ أن المفردات (نهم، شره، نوائح، خبط، نهش) كلها ألفاظ قوية، فيها من القسوة ما يربو عن مقدرة الموصَى (الابن)، ولكن حرص الموصي (البخيل) ونظرته إلى الموضوع أباحا له ركوب مثل هذا المعجم.

وهذا محمد بن أبي المؤمل وهو يدافع عن الجدي المشوي، الذي وُضِع بين يديّ القوم، قائلا: إنه "إنما جعل كالعاقبة والخاتمة، وكالعلامة لليسر وللفراغ، وأنه لم يحضر للتمزيق والتخريب، وأن أهله لو أرادوا به السوء لقدموه قبل كل شيء لتقع الحدة به"(٢)، وهذا ابن التوأم وهو يرافع عن البخل، ويحذر سامعه من إعطاء المساكين: "فاحذر رقاهم، وما نصبوا لك من الشرك، واحرس نعمتك وما دسوا لها من الدواهي، واعمل على أن سحرهم يسترق الذهن ويختطف البصر"(٣).

وبالنسبة **للمستوى التركيبي**: فإن التراكيب اللغوية -كما يقول الحريول- "هي نتاج التفاعل المثمر بين مكوناتها، ذلك التفاعل الذي يجري وفق تناسق تكاملي بين مستويات البناء اللغوي المختلفة"(٤) ، والنظام التركيبي في اللغة العربية يمتاز بسمتين مهمتين لهما علاقة وثيقة بإنشاء الخطاب، هما:

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٦.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٣١.

(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٢٢٩.

(٤) الحريول زكي، "قوانين التركيب النحوي وإنشاء القول". *المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل: العلوم الإنسانية والإدارية*، م٢٢، ع٢، (٢٠٢١م): ٢٩٢.

– احتواؤه لمولدات الابداع اللغوي، وتنظيمه لها، وهنا يمكن رصد مجموعة من الميزات العامة، مثل: انخفاض صرامة التقعيد لصالح الثراء الدلالي، وكذا الجمع بين سكون النظام وحركية القول، إضافة إلى ممانعة هدر العدول عن الأصول التركيبية لغير فائدة(١).

– مراعاته لخصوصية الأنواع الخِطابية المختلفة، كالشعر والمثل، والوصية، والمساجلة، والمناظرة.

وقد أفلح عبد القاهر الجرجاني بشكل فريد في بيان علاقة قوانين التركيب (النحو) بالمعنى المراد تبليغه من المتكلم، في نظرية النظم في كتابه دلائل الإعجاز، وكيف أن مقومات الجهاز القواعدي النحوي تسعف متكلم اللغة بخيارات ثرية ومتجددة تمكّنه من التعبير عن كل أنواع المعاني التي يريدها، فما عليه إلا إحكام المعرفة بقوانين هذه المنظومة القواعدية، ولذلك فرّق بين نوعين من النظم: "ومما يجب إحكامه بعقب هذا الفصل، الفرق بين قولنا: (حروف منظومة)، و (كلم منظومة)، وذلك أن (نظم الحروف) هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ... وأما (نظم الكلم) فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس"(٢)، وهذه المنظومة القواعدية من الثراء بمكان، تجعل من معطيات التركيب وسيلة لمواكبة طبيعة المعاني والدلالات والمقاصد: "وإذ قد عرفت أن

(١) ينظر: الحريول، "قوانين التركيب النحوي وإنشاء القول"، ٢٩٤.

(٢) الجرجاني عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود محمد شاكر، (ط٣، القاهرة–جدة: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م)، ٤٩.

مدار أمر (النظم) على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض"[1].

وعليه فإن تعدد الأوجه النحوية ليس مجرد استكثار من تعبيرات لا فائدة وراءها، وإنما لكل وجه دلالته الخاصة، فلا يمكن أن يؤدي تعبيران مختلفان مقصدا واحدا.

ونحن إذا دققنا في العبارات التي استعملها بخلاء الجاحظ نجدها قد استثمرت القوانين التركيبية للغة الخطاب، وأحسنت إدارة العلاقات التركيبية المختلفة، من حذف، وتنكير وتعريف، وتقديم وتأخير، ومطابقة ومخالفة، وتتبع كل ذلك في خطاباتهم يخرجني عن هدف البحث، ولكنني سأذكر بعض الميزات التركيبية التي ظهرت لي في حوارات بخلاء الجاحظ، ومن أهمها (القِصَر)، و(التتالي)، و(التكرار)، كما إنها اعتمدت ما نسميه بـ(أفعال الكلام)، أو (الأساليب الإنشائية)، مع استراتيجية (الاستمالة)، وذلك بالظهور بمظهر الناصح المجرب (عبارة: أيْ بُنَيّ).

ومن نماذج التراكيب التي توافرت فيها هذه الخصائص المتعددة قول خالد بن يزيد لابنه وهو يوصيه بحفظ ماله: "قد حفظته عليك من فتنة البناء، ومن فتنة النساء، ومن فتنة الثناء، ومن فتنة الرياء، ومن أيدي الوكلاء، فإنهم الداء

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٨٧.

العياء"[١]، وهو أسلوب مليء بأدوات التوكيد وصوره، من استعمال لأدوات مثل: (قد، أنّ)، ومن تكرار لفظة (الفتنة)، ومن توالي الجمل القصار.

ثم يمعن في الوصية، فيقدم لابنه تحليلا نفسيا لشخصيته، ثم يلقي إليه بما يجب عليه أن يلتزم به: "وأنت غلام، لسانك فوق عقلك، وذكاؤك فوق حزمك، لم تعجمك الضراء، ولم تزل في السراء والمال واسع، وذرعك ضيق، وليس شيء أخوف عليك عندي من حسن الظن بالناس، فأتهم شمالك على يمينك، وسمعك على بصرك، وخف عباد الله على حسب ما ترجو الله"[٢]، وقد اتبع هنا استراتيجية متدرجة، إذ بدأ بإثبات صفات المخاطَب وإبرازها (أسلوب تبليغي)، ممهدا به لما سيحقق به الهدف الأساس (الوصية)، وهو الأسلوب الإنشائي، مستعملا (الأمر): اتهم، وخف.

ومن نماذجه كذلك قول محمد بن أبي المؤمل –وقد ابتلي بضيف– لخادمه رافعا صوته بالتنويه وبالتشنيع: "هات يا مبشر لفلان شيئا يطعم منه، هات له شيئا ينال منه، هات له شيئا"[٣]، حتى يوقع الضيف في الحرج فيمتنع.

ومنه أيضا قول ابن أبي التوأم: "ومدار الصواب على طيب المكسبة، والاقتصاد في النفقة"[٤]، فهي عبارة مختصرة وواضحة، كثيرة المعنى، بل هي قاعدة حياتية في كسب المال وتصريفه.

وعلى مستوى **المعاني والدلالات**: فإن الكلام عن المعاني والدلالات

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٧٥.
(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٧٨.
(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٣٤.
(٤) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٢٣٦.

هنا مرتبط بقصد المتكلم (البخيل) أكثر من ارتباطه بقصد اللغة، ذاتها، وقد قال ابن سينا فيما نقله عنه الكفوي: "الإرادة شرط الدلالة، يعني أن الدلالة هي الالتفات من اللفظ إلى المعنى من حيث إنه مراد، فلولا العلم بالإرادة لمعنى من اللفظ لم يتوجه السامع من اللفظ إلى المعنى، فلم تتحقق دلالة لا على المراد ولا على الجزء منه ولا على لازمه"(١).

وعادة ما يلتزم البخيل المباشرة في خطابه، وتبليغ مقاصده، ولا يلجأ إلى الإيحاء والإشارة إلا قليلا، وفي المواضع التي تفرض عليه ذلك، وإلا فإن حرصه على مصلحته في حفظ ما عنده، واستبساله في ذلك لا يسمحان له بالمجازفة بالتورية والتكنية عن دلالاته ومعانيه، ولذلك فإن عموم ما يجيء على لسانه من الواضح البيّن، وله في توضيح الفكرة وتقريب المعنى طرق عدة، منها استعماله ما سهل من الألفاظ، وما ناسب المتلقي من معان (الكبير، الصغير، الندّ، الصديق، الغريب..)، ثم هو كثير الاستعانة بالصور التوضيحية، من تشبيه واستعارة وتمثيل، ومن أمثلة ذلك ما جاء على لسان أبي عبد الرحمن الثوري في وصيته لولده: "ولا تنهش نهش الأفاعي ولا تخضم خضم البراذين، ولا تدم الأكل إدامة النعاج، ولا تلقم لقم الجمال"(٢)، فهذه كلها تشبيهات الغرض منها توضيح ما يستهجن من أوصاف الأكل، وكان باستطاعته إخراج الكلام على غير التشبيه، ولكنه حينئذ سيخسر على مستوى وضوح المعنى وتأكيده.

ومن أمثلة ذلك أيضا قول أحدهم: "ولا تكن على نفسك أشأم من خوتعة، وعلى أهلك أشأم من البسوس، وعلى قومك أشأم من عطر

(١) الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، "الكليات". تحقيق عدنان درويش – محمد المصري، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م)، ١٠١٥.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٧.

منشم"[١].

ومن طرق تقريب المعنى وتثبيته في نفس المتلقي الاستعانة بنصوص ذات مرجعية أيديولوجية عند المتلقي أو تاريخية، كالاستشهاد بالآيات من القرآن الكريم، وبالأحاديث من السنة الشريفة، أو بشيء من الشعر أو الحكم، والأمثال[٢].

هذا هو الأصل عند البخيل في منطقه وخطابه، يتحرى (المباشرة)، ولكنه في بعض الأحيان القليلة يلجأ إلى التلميح، حيث يتأكد أن المعنى يبلغ المخاطب على الوجه الأكمل، ومثال ذلك قول أحدهم لضيف طارق بعد فراغ المجتمعين من الأكل، وقد مدّ يده ليصيب منه: "أجهز على الجرحى، ولا تعرض للأصحاء"[٣]، ويقول آخر يخاطب أصحابه الذين يشاركونه أكل تمر وضعه بين أيديهم، وقد انطفأ السراج، وسمع صوت نواتين، فقال: "من هذا الذي يلعب بالكعبين"[٤]، والكعب فصّ النرد.

ومن مؤهلاتهم في مستوى الدلالات والمعاني (التمويه)، و(استغفال) المتلقي، ومنه قول أبي يعقوب الدقنان: "ما فاتني اللحم منذ ملكت المال"[٥]، ولذلك فضحه الجاحظ ببيان ما وراء هذا القول، الذي يعطي صورة عكسية عن صاحبه، صورة الموسّع على نفسه، وهو على العكس من ذلك.

وعلى المستوى الحجاجي فإنه ليس من العجيب أن تكون الحجة على

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٢٤٦.
(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٧، ٢٢٣، ٢٤٧.
(٣) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٧٠.
(٤) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٩٨.
(٥) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٦٢.

رأس المؤهلات اللسانية عند البخلاء، وذلك لتوافر دواعي المحاججة في مقاماتهم التواصلية، فالبخيل كما قلت سابقا، صاحب مذهب غريب في التعامل مع (ممتلكاته)، مذهب يخالف به جمهور الناس، ولذلك فهو مطالب بحشد الأدلة والبراهين على مستوى اللغة قبل كل شيء ليستظهر بها على محاوره في سجاله معه، ولذلك لا نستغرب حينما يجعل الجاحظ من نفائس كتابه التي يمكن للقارئ الوقوع عليها (حجة طريفة) على رأس ما يمكن أن يفيده قارئ كتابه البخلاء، ولا عجب أيضا أن تتردد مادة (ح، ج، ج) في متن الكتاب بصور مختلفة (احتجاج، احتجوا، احتج، يحتج، حجة).

والنَفَس الحجاجي مبثوث في كل حوارات البخلاء، لا يكاد يخلو منها خطاب، وهو أمر طبيعي، ونتيجة حتمية تفرضها (سطوة) البخل على نفس البخيل، كما تفرضها طبيعة العلاقة التي تجمع البخيل مع محيطه، وهي علاقة متوترة وعدائية، مما جعل البخيل ينهج نهج (الشراسة) مع مخالفيه، والحجاج صورة من صور هذه القساوة في المعاملة، ومن جهة أخرى طبيعة الفكر الذي يحمله البخيل، فهو فكر (مخالف) لما اعتاده الناس من حوله، ومن ثم فإن البخيل مضطر إلى اللجوء إلى المحاججة والمناظرة، والقياس، كما ذهب الجاحظ.

وبما أن الآليات الحجاجية تتجلى في أكثر من صورة، إذ قد تكون أدوات لغوية صرف كألفاظ التعليل، والأفعال اللغوية، والوصف، وقد تكون أليات شبه منطقية ومنها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، وقد تكون آليات بلاغية ويدخل فيها تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة والبديع والتمثيل[1]، فقد تعددت صور الحجاج وتنوعت، من حجج منطقية إلى

(١) ينظر: عبد الهادي الشهري، "آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب الحجاج مفهومه. =

حجج لغوية، ومن أمثلة الأولى ما حكاه الجاحظ عن أحمد بن خلف اليزيدي الذي ما فتئ أصحابه يلومونه عن بخله، ويراودونه لإكرامهم، فجهز لهم طعاما خفيفا، شهيا، بلا ثمن، ودعاهم فلما أكلوا وانتهوا، أقبل عليهم يحاججهم، حجاجات منطقية، لم يستطيعوا منها فكاكا، فقال: "فأنا الساعة أقرب الى الفقر، أم تلك الساعة؟ قالوا: بل أنت الساعة أقرب الى الفقر. قال: فمن يلومني على دعوة قوم قربوني من الفقر، وباعدوني من الغنى"(١)، فنلاحظ هنا كيف استعمل الحجاج المنطقي لاستدراج مخاطبيه إلى النتيجة التي يريدها، وهي نتيجة منطقية، لا يمكن مدافعتها.

ومن أمثلة الثانية استعمال البخيل لنصوص وأسماء ذات بعد أيديولوجي، بحيث لا يستطيع المتلقي نقضها أو الاعتراض عليها، فالبخيل كثيرا ما يستدل بآيات القرآن الكريم، وبنصوص نبوية شريفة، وبأقوال الصالحين والحكماء، والشعراء، ومن في منزلتهم، وقد لخص لنا أحدهم هذا المنحى بقوله: "إني لست آمرك إلا بما أمرك به القرآن: ولست أوصيك إلا بما أوصاك به الرسول، ولا أعظك إلا بما وعظ به الصالحون بعضهم بعضا"(٢)، فاستعمال البخيل لكل هذه الأنواع من النصوص والخطابات يندرج ضمن الاحتجاج اللغوي، هذا إضافة إلى التقنيات الحجاجية –اللغوية خاصة– التي كثيرا ما يقوي بها البخيل مخاطباته، مثل: ألفاظ التعليل، والفعال اللغوية، والوصف، إضافة إلى

=

ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة"، إشراف: د. حافظ إسماعيلي علوي، (د. ط: إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م)، ١: ٧٩.

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٦٨.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٢٤٩.

الأنواع الأخرى من صور الحجاج، كالصور البيانية، والسلم الحجاجي.

فمثلا فيما يتعلق بالسلم الحجاجي وهو الذي يقوم على العلاقة التراتبية بين حجج متعددة تتآزر لإثبات نتيجة ما، أو هو ما تعامل مع فئة حجاجية موجهة(١)، نمثل بقول أبي عبد الرحمن لابنه: "أي بني! إن إنفاق القراريط يفتح عليك أبواب الدوانيق، وإنفاق الدوانيق يفتح عليك أبواب الدراهم، وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير. والعشرات تفتح عليك أبواب المئين، والمئون تفتح عليك أبواب الألوف، حتى يأتي ذلك على الفرع والأصل ويطمس على العين والأثر، ويحتمل القليل والكثير"(٢).

وكذلك من تقنيات الحجاج عند بخيل الجاحظ أنه حريص على ذكر العلل للظواهر التي يتناولها، وذكر العلة باب كبير من أبواب الاقناع، ومن نماذجه قول أحمد بن خلف اليزيدي الذي يخاطب الجاحظ مقترحا عليه تدبير حياته: "أنظر أن تتخذ لعيالك في الشتاء من هذه المثلثة، فإنها عظيمة البركة كثيرة الفوائد، وهي تنوب عن الغداء، ولها نفخة تغني عن العشاء. وكل شيء من الإحساء فهو يغني عن طلب النبيذ وشرب الماء، ومن تحسى الحار عرق، والعرق ينفض الجلد ويخرج ضرّ الجوف، وهي تملأ النفس وتمنع من التشهي، وهي أيضا تدفئ، فيقوم ذلك في أجوافهم مقام فحم الكانون من خارج. وحسو الحار يغني عن الوقود، وعن لبس الحشو، والوقود يسود كل شيء وينتنه، وهو سريع في الهضم، وصاحبه بعرض حريق، ويذهب في ثمنه المال

(١) ينظر: العزاوي أبو بكر، "الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه. ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة"، إشراف: د. حافظ إسماعيلي علوي، (د. ط: إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م)، ١: ٥٩.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ١٤٣.

العظيم، وشر شيء فيه أن من تعوده لم يدفئه شيء سواه، فعليك يا أبا عثمان بالمثلثة، واعلم أنها لا تكون إلا في منازل المشيخة، وأصحاب التجربة، فخذها من حكيم مجرب ومن ناصح مشفق"(١)، ففي هذا الحوار حاول اليزيدي أن يقنع مخاطبه بما يراه من خلال:

- تعداد الوصف.
- التدرج فيه.
- ذكر العلل والفوائد.
- عضدها بحجة خارجية "واعلم أنها لا تكون إلا في منازل المشيخة وأصحاب التجربة".
- الاستمالة العاطفية: "فخذها من حكيم مجرب ومن ناصح مشفق".

ولا يخفى علينا من خلال النماذج السابقة أن احتجاج البخيل كله حجاج مغالطي، يستميت فيه البخيل للدفاع عن مذهبه في الحياة، هذا المذهب الذي لا يلقى قبولا عند الأسوياء من عامة الناس، فضلا عن كبرائهم، ولذلك لا يمكن أن نتكلم عن الاقتناع هنا، بل هو حجاج من طرف واحد يسوقه صاحبه بغية تحقيق الإذعان والتسليم عند المتلقي، هذا الإذعان وذاك التسليم كثيرا ما يكون جراء قوة المغالطة، أو قوة الاحراج النفسي أو المقامي، كقوة المغالطة في خطاب اليزيدي مع ضيوفه وقد مرّ بنا، ومن أمثلة الاحراج النفسي واستغلال المقام استغلالا ماكرا، ما حكاه الجاحظ عن ابن أبي كريمة واعتراضه على الجاحظ كيف يتوضأ بكوز من خزف، فقال: "سبحان الله تتوضأ بالعذب، والبئر لك معرضة؟ قلت: ليس بعذب، إنما هو من ماء البئر،

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٦٧.

قال: فتفسد علينا كوزنا بالملوحة، فلم أدر كيف أتخلص منه"[1]، ومن أمثلته أيضا ما حكاه عمرو بن نهيوي وكان يتغدى عند الكندي، إذ دخل عليهم جار للكندي وصديق لعمرو، فاستحيا عمرو منه وعرض عليه الطعام، فأجاب الجار: قد والله فعلت، فابتدرهم الكندي، بعدما ظفر منه بهذه العبارة، قائلا: "ما بعد الله شيء"، ويعلق عمرو بعدما رأى من حال هذا الجار: "فكتفه، والله كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا، وتركه، ولو مد يده لكان كافرا، أو لكان قد جعل مع الله، جل ذكره، شيئا"[2].

(١) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٣٧.

(٢) ينظر: الجاحظ، "البخلاء"، ٣٨.

الخاتمة:

بعد هذا التحليل الذي أخضعت له (الكفاءة التواصلية) في صلتها ببخلاء الجاحظ، وبعد مناقشتي للأبعاد المختلفة لظاهرة البخل باعتبارها من أهم محفزات للقدرات اللغوية عند البخيل، أصل الآن إلى حصر أهم النتائج التي توصلت إليها:

١. (الكفاءة التواصلية) مفهوم متعدد الجوانب، وهي أوسع من (الكفاءة اللسانية).
٢. إن (البخل) شأنه شأن باقي أخلاق الفرد الأخرى، لها أبعاد نفسية بالدرجة الأولى.
٣. إن (البخل) في المجتمع المدني، تحول إلى ظاهرة معقدة، من حيث الأسباب ومن حيث الآثار.
٤. أصبح (البخل) في زمن الجاحظ مذهبا أيديولوجيا، له أنصاره، وله فلسفته.
٥. كان (للبخل) تأثير كبير على نفسية بخلاء الجاحظ، وظهر ذلك على عدة مستويات، منها المستوى التواصلي.
٦. أدت (سطوة البخل) إلى تحفيز القدرات التواصلية عند بخلاء الجاحظ.
٧. تكونت (الكفاءة التواصلية) عند بخلاء الجاحظ من ثلاثة أنواع من الكفاءات الفرعية: الكفاءة الاجتماعية، والكفاءة الذهنية، والكفاءة اللسانية.
٨. كان لكل كفاءة من الكفاءات الفرعية المذكورة مظاهر وآليات، فالكفاءة الاجتماعية مثلا كان من مظهرها الاختلاط المادي مع

العزلة الشعورية عند البخيل، كما اتسمت بـ(العدائية، والصراع)، وكان من مظاهر الكفاءة الذهنية الذكاء الشديد، والفطنة العجيبة، والمعرفة الواسعة، والثقافة المتنوعة، وكان من مظاهر الكفاءة اللسانية براعة التصرف في مدلولات الألفاظ، وحسن انتقاء المفردات المناسبة لتحقيق المراد، واعتماء تقنيات الاختصار، وجودة المخارج، على مستوى التراكيب، والوضوح وتكثيف الدلالة على مستوى المعاني، واعتماد البعد الحجاجي في محاورة المخالفين عن طريق الوسائل اللغوية، وشبه المنطقية، ضمن استراتيجية المغالطة.

المصادر والمراجع:

أكرم زيدان، "**سيكولوجية المال: هوس الثراء، وأمراض الثروة**". (الكويت: عالم المعرفة، رقم ٣٥١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٨م).

إيمان عوض محمد فيود، "**البخل المعرفي وعلاقته بالتحيزات المعرفية وما وراء الانفعال**"، *مجلة الارشاد النفسي*، م١، ع٧٦، (٢٠٢٣م)، ٣٠٤.

الجاحظ عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، "**البيان والتبيين**". (د. ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ).

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، "**البخلاء**". (ط٢، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٩هـ).

الجرجاني عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)، "**دلائل الإعجاز**". تحقيق محمود محمد شاكر، (ط٣، القاهرة–جدة: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م).

جونيز فيليب، "**الكفاءات والسوسيوبنائية**". ترجمة الحسين سحبان، (ط١، الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، (٢٠٠٢م).

الجويلي محمد، "**نحو دراسة في سوسيولوجية البخل**". (د. ط، القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٩٠م).

الحريول زكي، "**قوانين التركيب النحوي وإنشاء القول**". *المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل: العلوم الإنسانية والإدارية*، م٢٢، ع٢، (٢٠٢١م)، ٢٩٢.

الراغب الأصفهانى أبو القاسم الحسين (ت ٥٠٢هـ)، "**المفردات في غريب القرآن**". ط١، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (د. ط، دمشق–بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ).

رشدي محمد خليل، "**الأبعاد النفسية والاجتماعية لشخصية البخيل**"، *مجلة أوراق كلاسيكية*، ع١٨، (٢٠٢١م)، ٦٣٣.

الشهري عبد الهادي بن ظافر، "**استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**". (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).

الشهري عبد الهادي، "**آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب الحجاج مفهومه. ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة**"، إشراف: د. حافظ إسماعيلي علوي، (د. ط، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م).

الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، "**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**". (د. ط، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د. ت).

طه عبد الرحمن، "**اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**". (ط١، المغرب الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م).

طه عبد الرحمن، "**في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**". (ط٢، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م).

العزاوي أبو بكر، "**الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه. ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة**"، إشراف: د. حافظ إسماعيلي علوي، (د. ط، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م).

عزت السيد أحمد، "**فلسفة الأخلاق عند الجاحظ**". (د. ط، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥م).

علاء الدين رمضان، "**صورة المجتمع العباسي في كتاب البخلاء**". (د. ط، جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٣م).

علي عبد الرحيم صالح، وحسام محمد مشد، "**الكفاءة الاجتماعية وعلاقتها**

بفاعلية الذات لدى طلبة الجامعة"، *المجلة العربية لعلم النفس*، جامعة القادسية، العراق، ع٣، (٢٠١٧م)، ٢٦.

عمر ثامر حسن، ومظهر عبد الكريم سليم، "**البخل المعرفي عند طلبة الجامعة**". *مجلة ديالى للبحوث الإنسانية*، ع٩١، (٢٠٢٢م)، ٤٣.

أبو عمشة خالد حسين، "**الكفاية التواصلية بين تعددية النماذج وتناص الدلالة**"، ضمن كتاب: القدرة التواصلية وتطبيقاتها في تدريس اللغة العربية للناطقين بها وبغيرها: قضايا وإشكالات، مجموعة من المؤلفين، تحرير محمد إسماعيلي علوي، (ط١، عمّان: دار كنوز المعرفة، ٢٠٢٢م)، ١٧٣.

العوا عادل، "**أسس الأخلاق الاقتصادية**". (د. ط، دمشق: منشورات جامعة دمشق، المطبعة الجديدة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ٩٢.

غريماس، وفونتني، "**سميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس**". ترجمة سعيد بن كراد، (ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م).

فرج عبد القادر طه وآخرون، "**معجم علم النفس والتحليل النفسي**". (ط١، بيروت: دار النهضة العربية، د. ت).

قادري محمد، "**مخالفة الأنساق الثّقافيّة العربيّة في رسالة (فخر السّودان على البيضان) للجاحظ أنموذجاً**"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج ٣٧، ع٧، (٢٠٢٣م)، ١٢٧٧.

الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، "**الكليات**". تحقيق عدنان درويش – محمد المصري، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م).

مالكية بلقاسم، "**كلام بكلام، التداولية من منظور بخلاء الجاحظ**". مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع١٢، خاص بأشغال

الملتقى الدولي الرابع لتحليل الخطاب، (٢٠٠٧م)، ٢٨١.

المتوكل أحمد، "**آفاق جديدة، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي**". (ط١، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٣م).

ابن المقفع عبدالله (ت ١٤٢هـ)، "**الأدب الكبير والأدب الصغير**". (د. ط، بيروت: دار صادر، د. ت).

الملاخ أمحمد، "**التواصل أسسه اللسانية ومقتضياته المعرفية**". *مجلة أنساق*، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، م١، ع٢، (٢٠١٧م)، ١٩٢.

منسي محمود عبد الحليم وآخرون، "**الكفاءة الاجتماعية: المفهوم–المكونات–النظريات المفسرة**". *مجلة العلوم التربوية*، كلية التربية بالغردقة، جامعة جنوب الوادي، م٢، ع٣، (٢٠١٩م)، ٣٧١.

النص إحسان، "**إبداع الجاحظ في كتاب البخلاء**". دمشق: *مجلة مجمع اللغة العربية*، مج٨٣، ع٤، (٢٠٠٨م)٧٥٧.

نهاري حورية، "**الكفاءة: مقاربات متعددة لمفهوم رحال**". *مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب*، ٧/١، (٢٠٢٣م)، ٢٣٤.

Bibliography

Akram Zidān. **The Psychology of Money: The Obsession with Wealth and the Illnesses of Affluence (in Arabic).** Kuwait: *ʿĀlam al-Maʿrifah*, No. 351, National Council for Culture, Arts and Literature, 2008.

Emān ʿIwaḍ Muḥammad Fayūd. "**Cognitive Miserliness and Its Relationship to Cognitive Biases and Meta-Emotion"** (*in Arabic*), *Journal of Psychological Counseling*, Vol. 1, Issue 76, (2023), p. 304.

Al-Jāḥiẓ, ʿAmrū bin Baḥr. **"al-Buḳhalā"**. (2nd ed., Beirut: Al Hilal Bookstore and press, 1419 AH).

Al-Jāḥiẓ, ʿAmrū bin Baḥr. **"al-Bayān wa Tabyīn**, (2nd ed., Beirut: Al Hilal Bookstore and press, 1423 AH).

Al-Jurjānī ʿAbd al-Qāhir. **"Dalāʾil al-Iʾjāz"**. investigated by: Maḥmūd Muḥammad Shākir Abū Fihr. (3rd edt. Jeddah - Saudi Arabia: Printing press al-Madanī, - Dār al-Madanī, 1992).

Jones Philip. "**Competencies and Socioconstructivism"** (*in Arabic*), trans. al-Husain Saḥbān, (1st ed., Casablanca: *Sharikah al-Nashr wa al-Tawzīʿ al-Madāris*, 2002).

Al-Juwailī Muḥammad. Toward a Study in the Sociology of Stinginess (in Arabic). (Cairo: al-Dār al-ʿArabīyah lil-Kitāb, 1990).

Zaki al-Ḥariyūl, "The Laws of Syntactic Structure and the Construction of Utterance" (in Arabic), King Faisal University Journal: Humanities and Management Sciences, Vol. 22, No. 2, (2021), p. 292.

Al-Raghib Al-Asfahaani Abu al-Qasim al-Ḥusain. "**al-Mufradāt fī Gharīb al-Quraʾān**". investigated by: Ṣafwān ʿAdāwdī. (1st ed., Damascus- Beirut: Dār alqalam, al-šhāmya–, 1412).

Rushdī Muḥammad Khalīl, "The Psychological and Social Dimensions of the Miser's Personality" (in Arabic), Classical Papers Journal, Issue 18, (2021), p. 633.

Al-Sāmurāʾī Faḍil. "**Maʿānī al-Naḥw**". (1st ed., Amman, Jordan: Dār al-Fikr, 2000).

Aššehrī ʿabd alhādī bin ḏāfer. **"estrātījeyāt alḳeṭāb muqāraba luġhawiya tadāwulya**". (1st edt, Beirut,Lebanon: dār

alketāb aljadīd almuttaḥeda, 2004).

al-Shahrī, ʿAbd al-Hādī. "Mechanisms and Tools of Argumentation" in Argumentation: Its Concept and Domains — Theoretical and Applied Studies in New Rhetoric (in Arabic), ed. Dr. Ḥāfiẓ Ismāʿīlī ʿAlawī, (Irbid: ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadīth, 2010).

al-Shahrī, ʿAbd al-Hādī "Discourse Strategies: A Linguistic-Pragmatic Approach (in Arabic), (1st ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah, 2004).

Al-Ṭabarī: Abū Jaʿfar, Muhammad bin Jarīr. "**Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʾwīl ʾāyi al-Quraʾān**". (Saudi Arabia, Mecca: Dār al-Tarbiyah wa Turāṯh).

Taha ʿAbdurraḥman. **"al-lisān wa-al-Mīzān aw al-Takawthur al-'Aqlī".** (1st ed., Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center. 1998).

Taha ʿAbdurraḥman. "**fī ʾUṣūl al-Ḥiwār wa Tajdīd ʿIlm al-Kalām".** (2nd ed., Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center, 2000).

Al-ʿAzāwī Abūbakr. Argumentation in Language, in Argumentation: Its Concept and Domains — Theoretical and Applied Studies in New Rhetoric (in Arabic). Supervised by Ḥāfiẓ Ismāʿīlī ʿAlawī. (Irbid Jordan:ʿĀlim al Kutub al Ḥadith, 2010).

ʿEzat al-Sayyid Aḥmad. "**Falsfat al-Aḵhlāq ʿenda al-Jāḥeiẓ".** (Damascus: Arab Writers Union, 2005).

ʿAlāʾ al-Deen Ramaḍan. "**Ṣurat al-Mujtamaʿ al-ʿAbāsī fī Kitāb al-Buḵhalāʾ".** (Jeddah - Saudi Arabia: Cultural Literary Club, 2003).

ʿAlī ʿAbdurraḥīm Sāleḥ and Ḥusām Muḥammad Mashad. "Social Competence and Its Relationship to Self-Efficacy among University Students," The Arab Journal of Psychology, University of Al-Qadisiyah, Iraq, Issue 3, (2017) (in Arabic).

ʿOmar Thāmir Ḥasan, and Maḏhar ʿAbdu lkarīm Salīm. "Cognitive Miserliness among University Students" (in Arabic).Diyala Journal for Humanitarian Research, Issue 91, (2022), p. 43

Abū ʿAmšha Khāled Ḥusain, "Communicative Competence Between Model Plurality and Intertextual Meaning," in

Communicative Competence and Its Applications in Teaching Arabic to Native and Non-Native Speakers: Issues and Challenges (in Arabic), a collective volume, edited by Muḥammad Ismāʿīlī ʿAlawī, 1st ed., Amman: Dār Kunūz al-Maʿrifah, 2022.

Al-ʿAwa ʿĀdil. "**Usus al-Aḳhlāq al-Iqtiṣādiya**". (Damascus: publications of Damascus university, al-Maṭbʿatu al-Jadīdah, 1983). 92.

Greimas and Fontanille, "The Semiotics of Passions: From States of Things to States of Mind", trans. Saʿīd bin Krād, (1st ed., Beirut: Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah, 2010).

Faraj ʿAbd al-Qādir Ṭaha and others. "**Muʿjam ʿIlm al-Nafs wa-al-Taḥlīl al-Nafsī**". (1st, Beirut: Dār al-Nahḍa al-Arabiya).

Qādrī Muḥammad. "Challenging Arab Cultural Norms in al-Jāḥiẓ's Boast of the Blacks over the Whites as a Case STudy" (in Arabic). An-Najah University Journal for Research (Humanities), Vol. 37, No. 7, (2023), p. 1277 .

Al-Kafawī Abū al-Baqāʾ al-Ḥanafī. "**al-Kulliyāt**". investigated by:ʿAdnān Darwīš - Muhammad al-Maṣrī, (2nd ed., Beirut, Lebanon: Al-Risala Foundation, 1998).

Mālikiya Balqāsim. "**Kalām be-Kalām, al-Tadāwuliya min Manḏhūr Buḳhalāʾ al-Jāḥiẓ".** al-Aṯhar journal, University of Kasdi Merbah, Ouargla, Algeria, Issue 12, Special to the Proceedings of the Fourth International Conference on Discourse Analysis, (2007), 281.

Al-Mutawakil Aḥmad. **"Āfāqun Jadīda, fī Naḏhariyati al-Naḥw al-Waḏhīfī".** (1st ed., Rabat: Publications of the Faculty of Arts and Humanities, 1993).

Ibn al-Muqafaʿ ʿAbdullah. "**al-Adab al-Kabīr wa al-Adab al-Ṣaġhīr".** (Beirut, Lebanon: Dār Sādir).

Al-Malāḳh Muhammad. **"Communication: Its Linguistic Foundations and Cognitive Requirements"** (*in Arabic*). *Ansāq Journal*, College of Arts and Sciences, Qatar University, Vol. 1, No. 2, (2017), p. 192

Mansī Maḥmūd ʿAbd al-Ḥalīm and others. "Social Competence: Concept, Components, and Explanatory Theories" (in Arabic). Journal of Educational Sciences, Faculty of Education in Hurghada, South Valley University, Vol. 2,

No. 3, (2019), p. 371

Annaṣ Iḥsān. "ʾ**Ibdāʿ al-Jāḥiẓ fī Kitāb al-Buḳhalāʾ".** Journal of the Arabic Language Academy Damascus: vol 83, issue 4, (2008): 757.

Nahārī Ḥuriya. **"Competence: Multiple Approaches to Raḥḥāl's Concept"** (*in Arabic*). *Al-ʿUmda Journal for Linguistics and Discourse Analysis*, Vol. 7, No. 1, (2023), p. 234

Cavell, T. A. "**Social adjustment, social performance, and social skills: A tri-component model of social competence"**. Journal of Clinical Child Psychology, (1990): 19(2).

Hymes, D.**Foundations** in **Sociolinguistics**:
An ethnographic approach. Philadelphia:
University of Pennsylvania Press, 1974. Pp. x+245. Published online by Cambridge.

Lyons John. "**Semantics**". Cambridge: Cambridge University Press, 1979.

Mounin, Georges. "**Dictionnaire de la linguistique".** (4e édition; France :Puf Quadrige, Presses universitaires de. France, 1995.

Peretti Jean Marie. "**Gestion Des Ressources Humaines".** (21st edition. Paris: Vuibert. Paris. 2016.

١٣٨
١٩٦

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature

Issue : 16

Apr - Jun 2025

part 1